١١

من مدرسة أهل البيت

العلامة الشيخ

كامل يوسف الخطيب



محمود عبد الرحمن
آل عباس سلمان

SHASH

العلامة الشيخ

كامل يوسف الخطيب

من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

العلامة الشيخ

كامل يوسف الخطيب

تأليف

مَحْمُود عَبْد الرَّحْمَن

آل عَبَّاس سَلْمَان



هـذه صـورتي وسـني سـبعون | وما خفـت مـن إطالـة عمـري
عـركتني الأيـام لكـن تجلـدت | وسـلمت للمهـيمن أمـري
فقضـيت الحيـاة أهـزأ بالـدهر | ومـا عشـت فيـه عيشـة غمـر
علـوي النجـار والـدين والـرأي | نقـي مـن المعائـب طمـري
أحمـد الله والسـلامة في الـدين | كفـاء عـن فضـل زيـدٍ وعَمـر

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. الحمد لله الذي أكمل لنا دينه، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً. والصلاة والسلام على المبعوث بخير الأديان، محمد المختار من شجرة بني عدنان، وعلى آله الطيبين الطاهرين النجوم الزاهرة والغرر الباهرة والحجج اللامعة، سادات الأولين والآخرين، الذين بولايتهم ومودتهم يكمل الدين، ونُعَد من المؤمنين. وعلى صحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

قال رسول اللهﷺ: « وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليه»[1].

الجود بالنفس أقصى غاية الجود، وبالتالي لا يستطيع أحدٌ أن يتصور مكانة الشهداء عند ربهم، لأنهم قدّموا أنفسَ ما لديهم في سبيل الله، فهم كالشمعة تفني نفسها لتضيء للآخرين، فيحفظون الأوطان ويصنعون السلام.

ولكن كيف أصبحَ مدادُ العلماء أثقل من دماء الشهداء؟!

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري.

ربما نستطيع أن نعلمَ وجهاً لهذا الحديث الشريف، مع علمنا بأنه يحتمل أوجهاً عدة.

فإذا كانت دماء الشهداء تحصن الناس من الاعتداء قتلاً ونهباً وسلباً واستعباداً، وتحمي الأوطان من الاحتلال والاستعمار واغتصاب الأراضي، فإن مداد العلماء يحصن النفوس من ظلمات الجهل والخرافات، ومن الشرك الجلي والخفي، ويزكي النفس بنور الهداية والإيمان والمعرفة الحقة، ويقدم للناس الفتوى المستمدة من كتاب الله الكريم والعترة الطاهرة المتناسبة مع كل عصرٍ من العصور.

بل أكثر من ذلك، فإن الشهداء أنفسهم إنما يرتشفون من هذا العلم، بل إنهم تعلموا حب الأوطان، ومعاني الشهادة، بفضل مداد العلماء، الذي يكشف الحقائق، ويوضح الطرائق.

فتكون شهادة الشهداء ثمرةً من ثمرات مداد العلماء.

واليوم نتكلم عن أحد كبار العلماء والشعراء والأدباء، الشيخ كامل يوسف علي الخطيب‏ قدس سره، الذي حوّل مداده إلى منارةٍ تستضيء بها الأجيال القادمة، والذي كان لألأة عصره ومنارة دهره، عالم فقيه، وشاعر أديب، وفيلسوف عظيم.

هذا الشيخ الجليل هو ابن الشيخ يوسف علي الخطيب رحمه الله، ومن منا لا يعرف من هو الشيخ يوسف علي الخطيب رحمه الله شيخ من أكابر العلماء والفلاسفة، ومن تخرج على يديه نابغة عصره وقريع دهره العلامة الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله، الذي له كبير الفضل في تخريج نخبة من العلماء لا يجاريهم في ميدان العلم أحد، ومنهم شيخنا الشاعر كامل الخطيب رحمه الله.

وسيتبين فيما سيأتي منزلة هذا الشيخ الكبير، والقيمة الكبيرة لشعره وأدبه.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تبيين جزء بسيط من مآثره ومحامده. وعلى الله التكلان.

الفصل الأول

لمعة تاريخية عن إمارة المحارزة

وبعض أمرائها

لمعة تاريخية عن إمارة المحارزة وبعض أمرائها

بقلم: الشاعر يوسف كامل الخطيب

أيام الصغر وبعدها كنت أحضر المجالس فأستمع لما يدور فيها، وكنت ألاحظ من البعض وممن هم يعدون من النخبة شيئاً من الاستنكار، وأحياناً الاستهزاء حينما يُذكر شيء عن المحارزة والأمراء منهم، أو الانتساب إلى الفاطميين، ولم أكن أدري يومها هل استنكارهم في محلّه أم لا.

وخلال مسيرة العمر والمطالعة غير المتقصدة للتفتيش عن هذا الموضوع، كان يلفت انتباهي بعض الإشارات والنقاط التاريخية التي تَرِد شذرات فيما أقرأ، فتعلق في ذهني. وعندما تكاثرت هذه الإشارات والنقاط ثبتَ لي بتقاطعها على اختلاف مصادرها صحة وجود هذه الإمارة الصغيرة وأمرائها المنتسبين فعلاً إلى الفاطميين، وظهر لي أن هذه الإمارة كانت قائمة قبل دخول الصليبيين منطقة الساحل، وليست شيئاً خيالياً وُضع وأُلف تأليفاً لا يمتُّ إلى وقائع التاريخ بصلة كما يزعم البعض أحياناً، وإن ما أُورده ما هو كما قلت قبلاً إلا حصيلة الصدف أثناء المطالعة، وأظنني لو تتبعت هذا الموضوع بجدية لبرزت إشارات ونقاط موثقة أكثر، وكان الموضوع أوسع، ولكن ليس المقصود من هذه اللمعة التأريخ، وإنما الإشارة بها للتخفيف من الاستنكار والاستهزاء وهزات

الرؤوس عند من اعتادوا ذلك - سامحهم الله - فلا يملك الماعون أن ينضح إلا بما فيه..

إنها لَلمعةٌ وعُجالة أثبتها بقناعة تامة وأدلة قاطعة لا تحيزاً ولا تنطعاً ولا تخيلاً، ولن يشك أو يشكك فيها أن يرجع الى المصادر التي أذكرها، ثم ليقل بعد ذلك ما يحلو له، حسبما تمليه عليه سجيته وخليقته..

وإنني أستميح العذر لعدم الدقة الزائدة بذلك، لأنني لم أكتب ذلك مؤرخاً أو محققاً أو مدققاً، فليعذر من يعذر، وليلُم من يلُم، وإنني لا أرى أو بالأحرى لا أقصد مغايرة الحقيقة أو الاختلاق والتخيل، ورحمَ الله امرءاً عرف حدَّه فوقفَ عنده.

أقول: إن هذه الإمارة التي ينتسبُ إلى أمرائها صاحب هذا الديوان الشيخ كامل يوسف علي الخطيب كانت قائمة حوالي قرن من الزمان، من الثلث الأخير للقرن الخامس الهجري وحتى الثلث الأخير من القرن السادس الهجري، وانتهت سلطة أمرائها الدنيوية بعد أن احتلَّ الصليبيون الساحل السوري وكوَّنوا إمارتهم في أنطاكية ثم في طرابلس، وكانت إمارة أنطاكية تمتدُّ جنوباً حتى طرطوس مرتفعةً إلى الشرق حتى بعرين فشيزر فالمعرّة ثم شمالاً إلى تركيا حالياً، وعندما تكوَّنت هذه الإمارة كانت أكثر

القلاع التي يحكمها الامراء المحارزة ضمن هذه الإمارة كالمرقب والعليقة ومصياف وغيرها..

ونظراً لعدم قبول الأمراء المحارزة التعاون مع الصليبيين عندما طلب منهم هؤلاء ذلك شأن كل مستعمر يحاول أن يجد من سادة الشعب الذي يحتل أرضه رجالاً يتعاونون معهم لتيسير الأمر عليهم في إدارة البلاد، أقول: عندما رفض أمراء المحارزة هذا التعاون، وقَبِلَه البعض من غيرهم، تسلّم الصليبيون القلاع والحصون الساحلية لصالحهم كالمرقب وطرطوس وصافيتا وغيرها، وتسلّم المتعاونون معهم القلاع الشرقية كمصياف وغيرها، ولم يبقَ لهم إلا بعض الحصون القليلة الشأن كالشيخ علي المجدل ودير الجرد والعليقة والمينقة وما أشبه.

ولكن الشعب العلوي بقي ملتفاً حول هؤلاء الأمراء وهم منه انتماءً ومذهباً، وكان لهذا الأمر إيجابية كبيرة في عدم تمكن الصليبيين من تنصير الشعب العلوي حينذاك رغم محاولاته ذلك، كما جرّبوا هذا الأمر ثانيةً عند احتلال فرنسا المنطقة مؤخراً، وفشلوا كذلك لالتفاف الشعب حول قائد الثورة الشيخ صالح العلي والثقاة من المشائخ الأجلاء، كما أنهم نتيجةً لما سبق أخذ قسم منهم انتساباً جديداً في المجموعات التي عاشوا فيها مع مرور الزمن..

وكانت هـذه الإمـارة تعاصـر في حينهـا إمـارة بـني منقـذ في شيزر، وكانت الإمارتان صغيرتان لا تستطيعان التوسع أو الوقوف لوحدهما في وجـه قـوى عسـكرية قويـة في تلـك الأيـام، وكلاهمـا كانت امتداداً لحاكم قوي:

المحارزة: ويستمدون قوتهم من الحكم الفاطمي في مصر.

وشيزر: تستمد قوتها من الدولة المرداسية في حلب.

وإن من النقاط الوثائقيـة لقيـام هـذه الإمـارة الـتي بـدت لـي خلال مطالعاتي صدفة ما يلي:

١ ـ وردَ في كتـاب تـاريخ الحـروب الصـليبية لأحـد المـؤرخين الأوربيين مترجماً إلى العربية بثلاثة أجزاء، ورد بسطرٍ أو سطرين ما يشير إلى: أن الجيش الصليبي عندما دخل المنطقة قاصداً نحـو القدس دخل على محورين:

الأول: المحور الـداخلي ـ المعـرة ـ الغـاب ـ وادي السـاروت جنوباً باتجاه القدس، واصطدم هذا الجيش الصليبي بإمارة شـيزر التي كانت من الضعف بحيث لا تقدر على مقاومـة هـذا الجـيش الكبير.

ودخـل الجـيش الثـاني وهـو الأقـل عـن طريـق السـاحل ـ أنطاكيـة ـ اللاذقيـة ـ طرطـوس ـ باتجـاه القـدس، وكانـت إمـارة

المحارزة في طريق هذا الجيش، وهي بنفس الحال التي كانت عليها إمارة شيزر.

٢ - ورد في كتاب تاريخ دمشق لابن القلانسي في سياق حديثه عن الإسماعيلية في الشام وقوتهم قوله: وكانوا - يقصد الإسماعيليين - قد تسلموا حصن القدموس من صاحبه ابن محرز الذي فضل أن يسلمهم إياه على أن يسلمه لنور الدين الشهيد.

٣ - ورد في كتاب القلاع الصليبية في بلاد الشام تأليف عالم آثار ألماني مترجماً من قبل وزارة الدفاع السورية قوله عن قلعة المرقب: بنى هذه القلعة عام /١٠٢٦/ ميلادية شيخ مشائخ القبائل العربية الجبلية في المنطقة، وحينما تكونت إمارة انطاكية الصليبية وكانت ضمن حدودها تسلمها الأمير روجيه أمير أنطاكية الصليبي من صاحبها ابن محرز بعد مفاوضات طويلة، وأهداها إلى فرسان الاستبارية.

٤ - ورد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ أحد أمراء شيزر - والكتاب متداول - ورد قوله: كان أحد الحلبيين قد أهدى نمراً في عدل إلى أمير النصيرية ابن محرز في القدموس وأظنه الأمير ناصح الدولة .. وفلت النمر من عدله في القاعة وهرب الجميع حتى استطاعوا أخيراً القبض عليه وإعادته إلى عدله.

٥ ـ ورد في مخطوط لأبي الخير سلامة بن أحمد الحدا قدّس الله روحه المتوفى سنة /٤٥٦/ هجرية ما يلي: قال: فأنا أشرح لك أسماء من شاهدتهم من الرجال الموحدين .. إلى قوله: ولقيت من السادات بالحصن المعمورة القدموسية حماها باري البرية، الأمير عبد الله محمد بن جعفر بن محرز، ولقيت محمد بن عسكر وولده عبد الله وغيرهم من السادات المقيمين في القدموسية، ولقيت من المصريين منهم الأمير عبد الله محمد بن العباس، وعصمت الدولة، وأبا محمد الحسن بن حمزة المطيب المعروف بالمقابري .. الخ، إلى قوله: ومن علماء المئة الخامسة الأمير محمد الملقب بعصمت الدولة ابن الأمير معز الدولة (المعز لدين الله الفاطمي) الذي كانت ولادته سنة /٣٩١/ هجرية ووفاته سنة /٤٥٠/هـ تولى الحكم بالقاهرة نيف وأربعين سنة (مدة الحكم وتاريخ الولادة والوفاة للمعز لدين الله).

ويضيف: ومن علماء المئة الخامسة أيضاً الأمير ناصح الدولة أبو الفتوح جيش بن محمد بن جعفر بن محرز الذي ردّ على إسماعيل بن خلاد، وكان شجاعاً من أركان البيت المحرزي.

٦ ـ في كتاب خير الصنيعة معدداً الحكام العلويين: بنو بويه بنو العريض المحارزة .. الخ، ويشير إلى قول الشيخ يوسف ابن العجوز المتوفى في /٦٨٥/ هـ قوله: تولى هذا الأمر منهم مَن ملك

القلاع والحصون كأبناء أبي العريض الغساني وبني الأحمر وبني محرز إلى زمننا هذا.

ويقول: الأمير علاي الدين صاحب تكريت تلميذ أبي الحسن البشري تلميذ الشيخ الخصيبي، والأمير محمد بن الأمير معز الدولة (المعز لدين الله الفاطمي) بمصر القاهرة، وهو تلميذ محمد بن مقاتل القطيعي تلميذ أبي الحسن الفحاص تلميذ الشيخ الخصيبي..

٧ ـ ورد في مخطوط لأبي صالح الديلمي قوله: ولقد كان الأمير الشريف الحسيب النسيب أبو الفتح محمد الملقب بعصمت الدولة رجلاً زاهداً عابداً متورعاً ألّف في التوحيد أشياء كثيرة وكان له نفسٌ حلو، أبوه الأمير معز الدولة (المعز لدين الله الفاطمي) رجل فاضل فيلسوف حاذق وهو الذي بنى القاهرة وبه تُعرَف إلى آخر الدهر.. وإن الأمير عصمت الدولة ابنه كما ذكرنا من الزهد والعبادة والعلم والديانة بمكان، وله من الشعر قصائد ومقطعات في التوحيد، وكان شيخه أبو الفتح محمد بن الحسن بن مقاتل البغدادي، وكان فاضلاً بارعاً فقيهاً عارفاً رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

٨ ـ وهذا هو الشيخ حسن الأجرود وكان في أواخر عهد المماليك الشراكسة يقول في قصيدته النونية:

والمحرزيون ملكوا الارض بعدهم وفي الحصـون العـوالي تم قصـدهم
ولـام في مصـر عـزهم وسـعدهم علـى ممـر الليـالي زاد مجـدهم

بانوا فبانوا فبان القلب مذ بانوا

٩ ـ وقد كان يرد ذكر بعض الأمراء المحارزة هكذا: (ساف وزان وجوهر وريحـان) سيف الـدين، وزيـن الـدين، وجـوهر الـدين، وريحان الدين، وهؤلاء كانوا من بقايا الأمراء المحارزة بعد انتهـاء سلطتهم الدنيوية، وكانوا في قلعة المينقة (وادي القلـع حاليـاً) ولم تزل قبورهم بها، ويظهر أن جيرانهم اسـتبعدوهم لسـبب أو آخـر من المنطقة، فهجروها إلى أماكن أخـرى، ويظهـر أن أبنـاء جـوهر اتجهوا إلى الغرب وسكنوا قرية سلمية ثم انتشروا منها إلى قرفاص ونواحي أخرى، كما أن أبناء سيف الـدين بقـوا بـين جيرانهـم، وربما كان متزوجاً منهم، ولا تزال بعض العائلات المعروفة حاليـاً موجودة وتسمى باسم جدها الأمير سيف الـدين. وأمـا أولاد زيـن الدين فقد هجروا المنطقة إلى الحمام، وسُموا بالجراننة مع مشـائخ درميني وكنكارو الذين كـانوا يجتمعـون علـى جـرن نـيني في وادٍ عميق مستور يدعون الله لرفع الظلم عـن أبنـاء شـعبهم، وذلـك في أواخر حكم المماليك الشراكسة وأيام السلطان سـليم التركي، حيث أن هذه الفـترة كانـت مـن أشـد الفـترات قسـوة في الظلـم والقتـل والملاحقة، ومن هـؤلاء الشـيخ عيسـى بالحمـام والشـيخ علـي بـن

هدوان والشيخ فراس والشيخ هلال الناسخ والشيخ نصر والشيخ علي بن صارم في بشراغي، وقد امتدوا إلى العرب حتى تل حويري وحتى المزارع، ومنهم الشيخ عبد الحميد القرنبادية قدّس الله روحه. وأما أبناء ريحان الدين فلا يُعرف منهم إلا عائلة واحدة في تل سلحب (عبد الرحمن زاد) وربما نُسبوا إلى أعمامهم مع مرور الزمن، وقدّس الله روح الشيخ عبد الرحمن جمعه المعروف والمشهور بكراماته وصدقه وثقته بإيمانه، وهو من أبناء زين الدين إذ يقول:

إلى نصر بن حيدر مد نسبي إلى بدر الغفير بلا افتتان

ولقد كذب كل من كذبه في قوله وهو المشهور له بالصدق وعدم المحاباة أو المراءاة..

١٠ ـ وقد وقعت لي هذه الرسالة من الشيخ سليمان أحمد إمام الشعب في عصره ـ قدّسه الله ـ موجهة إلى الشيخ علي أحمد المعروف بـ (العيلة) والد الأستاذ محمد علي أحمد وهذا نصها:

« سيادة الأخ المحترم الشيخ علي أحمد المحرزي أيده الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو حضوركم صحبة ناقلها من كل بد..، وإذا لم تتمكن من الحضور لعذر شرعي

فاكرموا بالرسالة كما هو أملي بإيمانكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي ».

الفقير لله تعالى: سليمان أحمد

وأيضاً من رسالة كتبها لنجله الدكتور علي سليمان إبان دراسته في باريس سنة /١٩٣٥/ جاء فيها:

« ذكرتم أن الأستاذ العلامة (يعني المستشرق ماسينيون) أبدى لكم بعض الشك في أن يكون عضد الدولة فاطمياً، ولم يجر ذكر لعضد الدولة في كتبي إليكم، وإنما هو عصمة الدولة، فلعل الغلط سبق القلم .. أما أن عصمة الدولة فاطمي أو عربي فلا مرية فيه، وكون كويلج أو كوينج اسماً تركياً أو أعجمياً لا ينافي ذلك، فإن الضغط الذي جرى على أهل هذا البيت لم يجر على أهل بيت على وجه البسيطة، فلا يبعد أن يكون في حال اختفائهم من وجه العباسيين بين البربر وغيرهم تلقبوا بهكذا اسم استتاراً ».

الإمام الشيخ سليمان أحمد

١١ ـ وجاء في ديوان المنتجب العاني مديحاً بأحد الأشراف من آل البيت في مصياف هو الشيخ عفيف الدين، قوله:

وأما العفيف وبيت الجمال فهم للنبي ولله ال

ويوافق هذا ما هو مكتوب على مقام الشيخ عفيف في مصياف (وهو من المحارزة قبل أن تصير إلى الإسماعيلية):

عفيف دين ابن عم المصطفى من نسل جعفر حاز أعلى شرفا

ولو لم يكن مشهوراً لما كان صاحب مقام وقبة، وابنه الشيخ يوسف (ربعو) قبة وإيوان وأقبية للزوار... والمنتجب قدّس الله روحه يعرِّض لا بل يصرح بتلمذته على الشيخ عفيف الدين المذكور في قصيدته المخمسة البائية بقوله:

فمن كالعفيف سراج الظلم وطود المعالي وبحر الكرم
أخو همةٍ فوق أوج الهمم وكفٍّ يخجل صوب الديم

إذا فاضَ في كرمٍ أو وهب

سقاني بكأسٍ يروي الظما وأفهمني منه ما أفهما
فنلت به الرشد بعد العمى فها أنا أرضٌ لغيري سما

أتيه على عجمها والعرب

ففي هذه الأبيات دلالة موضحة وعبارة مفصحة على أن العفيف سيده ومرشده. (من كتاب للشيخ عبد اللطيف سعود).

١٢ ـ وهذا الشاعر الكبير حامد حسن (حبسو) يقول في رثاء أحد المشائخ المحارزة (الشيخ يوسف مهنا):

يا ابن المعز لدين الله ما حليت   إلا بكم صحف التاريخ والسير
والمحرزيون أصفى نبعة عُرفت   بين البرية من بدوٍ ومن حضر
كفاهم أنهم من نسل فاطمة   وعترة المصطفى المبعوث في مضر
وصالح بن علي منهم وكفى   بصالح ليكونوا سادة البشر

ثم هذا هو يقول في رثاء المرحوم الأستاذ عبد الرحمن الخطيب:

آل الخطيب كفاكم بين الورى   نسبٌ له سجد الزمان وأطرقا
واسم المعز به الخلافة وارتقى   لمحمدٍ هل بعد ذلك مرتقى
أبقى على الدنيا من الدنيا وقل   أبقى وأخلد من أفانين البقا

١٣ ـ ثم هذا هو الشيخ محمود الفرا الشيزري من القرن السادس الهجري يمدح الأمير ناصح الدولة في القدموس والمحرزيين ويهنئهم بعيد الغدير قدّسهم الله فيقول:

عيدٌ أتى يزهو على الأعياد   بمسرةٍ مقرونةٍ بسداد
لجماعة التوحيد والنفر الأولى   عرفوا طريق الحق والإرشاد
ممن حوى الوادي الشريف محله   لا زال في دعةٍ وعزٍ بادي

وجماعة الطوبان لا زالت يد المولى تقـــيهم كـــل ســـوء عـــاد
والمحرزيــون الــذي عــمَّ الــورى أفضــالهم في الغــور والأنجــاد
ببقـــاء ناصـــح ديـــن آل محمـــد ورث المكـــان عـــن أبٍ وأجــداد
أولاده تبـــعٌ لــــه في دينـــــه والله ناصــرهم علــى الأضــداد
قــد قالهــا الفــرا المقــيم بشــيزر مــن مهجــةٍ حــرّى وقلــبٍ صــاد

هذا نزرٌ من غمر، عسى أن يتقي اللّه زيدٌ في عمرو.

يوسف الخطيب

الفصل الثاني

العلامة الشيخ

يوسف علي الخطيب



العلامة الشيخ يوسف علي الخطيب

العلامة الشيخ

يوسف علي الخطيب

هو يوسف بن علي بن يوسف بن عمار /برعين/. وُلد في قرية /متور/ ونشأ بها، ثم انتقل إلى قرية /بشراغي/، وإذ كان يتيماً ولا رزق له يعيش منه هو وأخوه وأمه وأخواته اضطرَّ أن يتعاطى صناعة التدريس عند بيت الشيخ علي عيد، ولفرط ذكائه واجتهاده اكتسب شهرة في علم التوحيد، ونظم الشعر. ولصباحة وجهه وفصاحة لسانه وسهولة طبعه اكتسب محبة جميع الناس له، حتى كان الوحيد في قضاء جبلة، وذاع صيته في جميع أنحاء العلويين، وكان كثير التجوال بين إخوانه مما زاد شهرته، وأصبح الرجل المسؤول عن مشكلات علوم الدين، وكثرت عليه الأسئلة من مثل الشيخ محمود ميهوب /الحويز/، والشيخ حامد سلامة /ربعو/ والشيخ محمد الحمصي /طرسوس/، والشيخ محمد إبراهيم /تل سلحب/، والشيخ كامل علي إبراهيم /سيغاتا/، والشيخ علي سلمان /المريقب/، وغيرهم. وكان المقدس الشيخ ناصر الحكيم الذي هو قدوة الشعب يقدمهُ ويفضله، وفي مثل ذلك يأمر أولاده، فعرَّف الأمة بقدره ومقامه العلمي، وتتلمذ عليه العلامة الشيخ سليمان الأحمد المشهور، وسافر إلى بلاد آطنة وطرسوس حيث كان يقيم عمه الشيخ عبد الواحد وابناه محمد وإسماعيل،

فاخذه الإخـوان هنـاك بعـين الاعتبـار وراوا فيـه كـل مـا يـاملون ويرجون من العلماء الأعلام، فـأجمعوا علـى أن يزوجـوه ليربحـوا إقامته بينهم، أو على الأقل التردد عليهم كما كـانوا يـأملون، ولم تعش الزوجة التي كلّفوه بأخذها طـويلاً، فـانقطع عـنهم، ولكنـه بقي محافظاً على زيارة الإخوان في بلاد صـافيتا والـبلاد الشـرقية والشمالية حتى في حالـة الاسـتغناء عـن الكتـب، لأنـه في الآخـر حصل على ثروة كان فيها كفاف عيش عائلته، ووهبه أهالي قرية /جيبول/ قطعة أرض في الضهر (المعـروف بـرأس العـرب) الواقـع بين قريتهم وقُلة بشراغي، فعمّـر فيهـا حـارة جميلـة مطلـة علـى السواحل، وبقي هو وأخوه وعائلتاهمـا بهـا إلى أن أدركتـه الوفـاة سنة /١٣٤٦/هـ ، فدُفن فوق الحارة التي عمرها[١]، ..

ومما مدحه به الشيخ عبد الكريم سعد بقصيدة مطلعها:

أعطـركَ فـاح أم زهـر لطيـف ... زهـا فاشـتم عارضـه الأنـوف

ومنها:

لقـد حـاط الغـرام ريـاض لـبي ... كمـا حـاط الكمـال الفيلسـوف
خطيب الأفق بل سحبان دهـر ... همام الفخر والعضـب الرهيـف
أيوسـف لا عـدت لكـم وجـوداً ... ولا سمحت ببعدك لـي ظـروف

---

(١) خير الصنيعة.

رأيتــك يــا إمــام العصــر بــدرا نأى عن حسن طلعته الخسوف
وشمــك روضــته زهــراً قطفنــا عــن الآلاف فيهــا مــا ينــوف
فحــق القــول أنــك أنــت قطــب فريــدٌ لا تُقــاس بــه الألــوف
لكــم في نثرهــا والــنظم ســوق بحجــر الأفــق قــام لــه رصــيف
وكونــك عــن علــي طبــت غرســاً بدا لــك في العلــى شــكلٌ لطيــف

لمحة إلى بعض صفات العلامة الشيخ يوسف الخطيب ﷺ:

كان العلامة الشيخ يوسف الخطيب ﷺ، فريد زمانه وقريع دهره، فهو من كبار مراجع العلويين في تلك الحقبة، يأتيه طلبة العلم من كل حدبٍ وصوبٍ للاستفادة من علمه الغزير وأدبه الجم، له جوابٌ لا يُقطَع، وبديهةٌ لا تُعارَض، عزفت نفسه عن الدنيا، وعف عن المطامع الدنيئة، وقنع من الدنيا باليسير.

كان ﷺ رحب الصدر، بعيد الأناة، وقور النفس، لا يُستنْزَل عن حلمه، فإن أخطأ معه أحد في القول أو الفعل لم يؤاخذه وتغمّد جهله بحلمه، وتلقى هفوته بطول أناته، واحتمل جنايته بسعة صدره، وبسطَ على إساءته جناح عفوه.

كان ﷺ ديّناً، ورعاً تقياً، زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، دعاؤه مستجاب بشهادة أعيان عصره.

كان ﷺ إذا رضي لم يقل غير الصدق، وإذا سخط لم يتجاوز جانب الحق. يتبع أفضل الطرق، يرجع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدة من الشر، مدلولة على سبل البر.

كان ﷺ واضعا نصب عينيه سيرة سيد المرسلين ﷺ وسيرة الأئمة المعصومين ﷺ، يستنهجُ سبيلهم، ويهتدي بهديهم، ويقتفي معالمهم، ويتخلق بأخلاقهم، ويستنُ بسُنّتهم، ويتشبّه بهم، مشى على خُطاهم حتى صار في أعلى درجات الولاء، فأشرقت أنوارهم في نفسه إيماناً وعلماً، وترجمها سلوكاً وفعلاً، لقد صقلَ قلبه حتى صار مرآةً لتجليات الأنوار، تنعكس أنواره على نفوس مريديه ليمحو عن قلوبهم ظلمات الأوهام، فهو منارة السالكين وهدى المسترشدين.

ومن هذه المدرسة العظيمة، وعن هذا العلَم الكبير، تخرّج علامتنا الأجل الشيخ سليمان الأحمد ﷺ، ولا يخفى على أحد أثر الشيخ في تلميذه، فإذا التلميذ يتحول بعد شيخه إلى عالم عصره الذي ليس له نظيرٌ ولا مثيل، وليصنع لنا بعقليته الجبارة مدرسةً علميةً فلسفيةً فقهيةً أدبيةً لا مثيل لها ولا عديل. ثم يتخرّج من هذه المدرسة كبار علماء العلويين، ويندر أن تجد عالماً في تلك الفترة إلا وقد تخرج عن هذه المدرسة، فإن لم يتخرج منها فقد تأثر بها.

ومن هذه المدرسة بالتحديد خرجَ إلينا عالمٌ عظيم وكبير وشاعرٌ لا يُجارى وفقيه وأديب وفيلسوف، إنه العلامة الشيخ كامل يوسف الخطيب.

فيا لله من نورٍ ينتقل من المعصومين ﷺ، حتى يصل إلى علامتنا الشيخ يوسف الخطيب رحمه الله، الذي نقله إلى علامتنا الأجل رحمه الله، إلى كبار العلماء ومنهم الشيخ كامل الخطيب رحمه الله.

إن عملية انعكاسات الأنوار لا يمكن لكل إنسان أن يدركها. فهي تعتمد على قابلية واستطاعة المتلقي لهذا النور. فما كل ما أشرقت عليه الأنوار أشرق، ولا كل من عُرضت عليه الولاية أجاب.

أما أولئك العلماء العظماء. فإن نفوسهم الطاهرة بولاية محمد ﷺ وآل محمد ﷺ المجبولة على حبهم وبغض مبغضهم. قد عَجنت يد الصناعة الأزلية أنفسهم بنور الهداية والعرفان. وصاغتها على هيئةٍ لا تقبل إلا الخير والإيمان. إن نفوسهم مغنطيس لا ينجذبُ إليه إلا ما هو من معدنه، ومعدنهم النور. فهم ينفرون من ظلمات الجاهلين التائهين، الذين أعمى الله بصائرهم.

ولذلك نرى سيرتهم شبيهة إلى حدٍ كبير بسيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين ﷺ، فهم قد عاهدوا أنفسهم منذ اللحظة التي ارتشفوا فيها كأس محبة أهل البيت ﷺ أن يحاربوا ظلمات الجهل، وينشروا نور العلم، فيكونوا قد وفوا ما عليهم، فاستحقوا ما لهم.

إننا إذ نتحدث عن علامتنا الشيخ يوسف الخطيب رحمه الله فإننا نتحدث عن كل خيرٍ ونورٍ وهداية، والحديث عنه يطول ويطول، ولا يمكن لأحدٍ أن يحيط بسيرته مهما حاول، ويكفيه فخراً أن يتخرج من مدرسته العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله، الذي هو ثمرة من ثمرات الشيخ يوسف الخطيب رحمه الله، الذي سقاه العلم صافياً نقياً، ثم ليحول علامتنا هذا العلم إلى مدرسة عظمى.

ومن قصيدة للعلامة الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله يتشوق فيها إلى شيخه العلامة الشيخ يوسف الخطيب رحمه الله حين سفره إلى بلاد "آطنة":

فاترُ الثغر بارد الجريال	فاتن الطرف نادر الأمثال
ساكن في فؤادي المغرم الواله	لا بالنقا وسفح الضال
يتمشى مشيَ النعاس هواه	في صميم الأحشاء والأوصال
يا لشوقي إلى السقام لأني	كنت منه بصحة الآمال
كيف أسلو الهوى وفي كل عضو	دبَّ بي حبه دبيب النمال
ما تيممت قبلةً بعد أن حلَّ	حبيب الفؤاد قُطر الشمال
ملك أبلج الجبين أغرّ الطالع	الأزهر العزيز المَنال
يقظ يحرس العلوم فيحيي	إذ يميت الكرى سهادَ البال
يا أخا البحر والغزالة والبدر	بجودٍ وبهجة وكمال
فقتَ قيساً بحسن رأي وقساً	ببيانٍ وحاتماً بنوال

وإياســـا بفطنـــة وذكـــاء وحبيبـــا بلهجـــةٍ ومقـــال

طبـتَ نفسـاً ومحتـداً ونجـاراً يـا كـريم الأعمـام والأخـوال

يـا أبـي حيـث لا أب لـي ويـا عمي إذا ما فقدت عمـي وخـالي

يا سقى الله ربع (ترسوس) طلاً فيض وكـف السحائب الهطـال

وكسـته أيـدي الربيـع حليـاً طُـرزت مـن زهـوره بلآلـي

أترى يسمح الزمان أخو البخل بحجـي لهاتـك الأطـلال

ومن قصيدة للعلامة الشيخ سليمان الأحمد قدس سره يرثي بها أستاذه الشيخ يوسف علي الخطيب قدس سره :

أيهـا الراحـل الكـريم سـلامُ قُضـي الأمـر واقتضـاك الحمـام

طبـت كهـلاً وناشـئاً وغلامـاً فسـما مقصـد وجـل مقـام

كنت نوراً يجلو دجـى الشك عنا ذهـب النـور فالزمـان ظـلام

طالمـا بـتَّ في طـلاب المعـالي سـاهرَ الطـرف والأنـام نيـام

يـذهب العمـر بغتـةً فـإذا المـرء خيـالٌ وعيشـه أحـلام

والحيـاة الـدنيا متـاع غـرور لمَ هـذي القصـور والآطـام

لا يغرنـك حالَهـا إن نعماهـا شـقاء ويُسـرها إعـدام

والفتـى يحسـب الحيـاة شـهاداً وهـي فيمـا يـرى الحكـيم سُـمام

نحـن منهـا علـى وفـاد رحيـل ليـت شـعري والمـوت حـتم لـزام

ويح نفسي لأمةٍ لا يزال الدهر ... فيهــا للنائبــات احتكــام

هــل لــداءٍ أصــابنا مــن دواء ... قــد مللنــا وملّــت الأســقام

إن شـعري معـبر عـن شعوري ... بعـض دمـع مـن الحـزين كـلام

كلمــا قــام عــالم بهــدانا ... دون مســعاه حالــتِ الأيــام

وإذا لاح بــارقٌ فاستضــأنا ... شــعة منــه أعجــل الإظــلام

ذهبَ الصالحون يا لهف والإصلاح ... منــا والعلــمُ والأعــلام

عظــم الله أجــر آل نمــير ... وليُعــزَّ الإيمــان والإســلام

غـاب عنـا علامـة العصـر مولانـا ... الفقيــه الصــدر الكــبير الإمــام

الأديــب اللبيــب نجـل علـي ... يوســف الســيد التقــي الهمــام

هكــذا هكــذا تكــون الرزايــا ... هكــذا هكــذا الخطــوب الجســام

كنتَ يا يوسف العلى بدر رشد ... ينجلــي كلمــا تجلــى القتــام

كنتَ سلوى الحزين حين تعزيه ... فيســلو وللــهموم ازدحــام

أدركــت نفسُــك المنــى ومناهــا ... فــوق مــا تأمــل النفــوس العظــام

وبلغتَ التمام من كل ما تبغيه ... إن كــان للمــراد تمــام

أيهــا العــالم الجليــل أفــدنا ... صــدئت بعــد بُعــدك الأفهــام

إن ســألنا بــك الهـدى فقـديماً ... نُصــبت للهدايــة الأعــلام

كيـف عقبـى لـذائذ الحـب في الله ... إذا المخلصــون في الله هــاموا

أي لفــظٍ هنــا يعــبر عمــا ... ثــم ممــا تعــي بــه الأفهــام

يعـرف الـذوق منـه مـا لا يـؤدي ... لطــف معنــاه خطبــة أو نظــام

ما أرى دونه يفيد أخا الزهد — صلاة في نسكه وصيام

لوتكفي دعوى الولاية في القول — وقولٌ بغير فعل أثام

لو علمنا بما لمثلك عند الله — عزّت مكانة ومرام

منزلٌ طيبٌ وربٌّ غفور — طبتَ نفساً به وطاب المقام

لأناب الحنين منا قلوباً — ولعافت أرواحُنا الأجسام

ولكننا نطير للموت شوقاً — تتقاضاه لوعةٌ وغرام

غير أن النفوس ران هوى الدنيا — عليها فما يصحُّ اعتزام

إن سمَت للعلى وحنّت إليها — عاقَها عن مرادها الإحجام

وإنا ما دنَت تسلّطت الذكرى — عليها فحثّها الإقدام

فهي لوّامة ولا بأس أن يحظى — بعفوٍ من ربه اللوام

فمتى ينظر الإله بعين اللطف — والله عينه لا تنام

فإنا ما أراد بالقوم خيراً — ذهبت فرقة وحلّ وئام

إن يكن في ظلال طوبى مقيماً — فلَنار الأسى لدينا ضرام

ولئن جلت المصيبة وقعاً — قصرت دون وصفه الأقلام

فلقد قام نائباً عنه فينا — خلفٌ صالح ونسل كرام

عترة برة وأنجال صدق — شرف باذخ ومجد قدام

برز الكل واحتوى قصبات السبق — منهم عليٌّ المقدام

وسليمان صنوه وبنوه — سادة قادة هداةٌ فخام

أسرةٌ كلهم حسيبٌ نسيبٌ — نجبٌ طاب كهلهم والغلام

لستم وحدكم بنيه يتامى　　كلنا منذ بَينِه أيتام

ما خُصصتم برزئه فلقد عمَّ　　ولكن تفاوتُ الأقسام

إن جزعنا فالخطب للحزن أهل　　وبه حُقَّ للدموع انسجام

أو صبرنا له احتساباً فإن　　الصبر للدين مسكةٌ وقوام

قدَّس الله روحه من إمام　　رضي الله فعله والأنام

وعليه تحيةٌ وثناء　　وصلاةٌ من ربه وسلام

ما صبا لادِّكار نجدٍ حزين　　وتغنَّت على الغصون حمام



الفصل الثالث

قراءة في سيرة

الشيخ كامل يوسف الخطيب

نسب الشاعر: هو كامل يوسف علي يوسف بن عمار بن نصر بن حرفوش بن محمد الأعرج بن شعبان بن شاكر بن حسن بن سلامة بن موسى بن حامد اللكيمة (الأكيمة) بن صالح بن يعقوب بن حيدر الضهر بن بدر الغفير بن شاكر بن الأمير محمد في مصياف بن الأمير خليل بن الأمير فضل الدين حاكم مصياف بن الأمير محمد الأدرعي حاكم (المينقة) بن الأمير منصور بن الأمير ناصر الدين بن الأمير محمد بن الأمير إبراهيم حاكم صيدا والرملة بن الأمير سراج الدين المحرزي بن تاج الدين المحرزي بن الأمير عبد الله المحرزي في سوق العقيق عند عامود الأسود بن الأمير محمد بن الأمير محرز الجيشي بن الأمير محمد عصمت الدولة بن الأمير معز الدولة (المعز لدين الله الفاطمي) بن المنصور بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي (مؤسس الدولة الفاطمية) امتداداً إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر إلى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبنيها.

الشيخ كامل يوسف علي الخطيب

يقول الشيخ حسين حرفوش:

الشيخ كامل الخطيب: شاعر، لغوي، ذكي، مرح في مجلسه، يحب النكتة، حاضر البديهة، قوي الذاكرة .. قال في ترجمة حياته: أنا كامل بن يوسف بن علي بن يوسف بن عمار بن نصر بن حرفوش بن محمد الأعرج المحرزي، والذي ينتهي نسباً إلى عصمت الدولة محمد بن المعز لدين الله الفاطمي الذي بنى القاهرة والجامع الأزهر. وُلدت سنة ألف وثلاثمائة وعشرين هجرية في بيتٍ كريم عند أب رحيم عالم فهيم، ألّف وصنّف. وسُئل وأجاب في علم التوحيد، مع أشعار وأراجيز بينه وبين إخوان عصره، وألّفَ تاريخاً للسادة المتقادمين الذين يعلم من تاريخهم شيئاً، وصدَّره بذكر الأئمة عليهم السلام وترجمة لمحة من تاريخهم، ولكل إمام منهم شعر مديح ودعاء توسلاً بهم. تتلمذ عليه العلامة الشهير الشيخ سليمان الأحمد، ومدحه في حياته. ورثاه عند وفاته، وكان مدحه له والدعاء له:

رب أدعوك دعوة المخلص النية ... يا رب يا مجيب سؤالي

هب صلاتي وطاعتي وزكاتي ... وصيامي البر من أعمالي

لإمامي وسيدي وفقيهي ... ومُجيري ومنقذي من ضلالي

وكان من رثائه لها قصيدة مطلعها:

أيها الراحل الكريم سلام   قُضي الأمر واقتضاك الحمام
طبتَ كهلاً وناشئاً وغلاماً   فسما مقصد وجلَّ المقام

ومدحه ورثاه الكثيرون من إخوان عصره غفر الله لهم أجمعين، وكانت ولادته سنة ألف ومئتين وخمس وسبعين هجرية، ووفاته سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجرية.

رُبيت في كنفه ستاً وعشرين سنةً، يحيطني بحنانه وعطفه، جزاه الله عني أفضل الجزاء، أقرأني القرآن صغيراً، ونقلني لقراءة مبادئ اللغة والفقه على الشيخ عبد اللطيف غفرَ الله له، متردداً على العلامة الشيخ سليمان الأحمد قدَّسهُ الله، فنلت بعض الحظوة والحمد لله، وكنتُ مُحبَّباً بفضل الله عند إخواني ورفاقي الذين تبادلنا معهم الولاء والحب، فتمادحنا وتمازحنا وتصافينا وتكافينا، ورثيتُ الكثير ممن سبقنا، ومدحنا البعض ممن لحقنا، رثيت من السادة السابقين مثل الشيخ سليمان الأحمد، الشيخ صالح ناصر، الشيخ معلا ربيع، الشيخ يوسف علي الوقاف، الشيخ يوسف علي عيد، الشيخ صالح علي سلمان، الشيخ محرز النعرية، الشيخ إبراهيم يوسف عيد، الشيخ عبد اللطيف سعود، الشيخ علي محمد كامل، الشيخ حبيب معروف،

الشيخ إبراهيم صالح الحكيم، الشيخ يونس حمدان، الشيخ حمدان الرياحي، الشيخ داود الخطيب.

ومن الرفاق الذين بادلناهم الأشعار مثل: الشيخ عبد الهادي حيدر، الشيخ حيدر محمد حيدر، الشيخ كامل صالح معروف، الشيخ حسين سعود، الشيخ خليل علي صالح، الشيخ محمود سليمان الخطيب، الشيخ صالح علي الخطيب، وغيرهم[١].

(١) خير الصنيعة.

لمحة إلى بعض صفات الشيخ كامل الخطيب:

مما تقدم يتبين لنا إلى أي بيت شرف وعز ينتمي الشيخ كامل الخطيب، شيخٌ استقى عرقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة، وتهدلت أغصانه عن نبعة الإمامة، وتبحبحت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة، فهو مختار من أكرم المناسب، منتخب من أشرف العناصر، مرتضى من أعلى المحاتد.

ويفخر بنسبه الشريف قائلاً:

لنا نسبٌ تمتدُّ فينا عروقهُ ... ويفخر في عليائه المد والجزر
كرامة عدنان وفهر وهاشم ... أبي السادة الأبرار مَن طهَّر الذكر
ومجد علي والحسين وجعفر ... أئمة دين الله وانقطع العذر
ومنهم نجاز الفاطميين إذ أتى ... المعز إلى مصر وعزَّت به مصر
هو العلَم العلام بالدين وابنه ... محمد واستولى على علمه السر
وقد جاء منهم عصبة محرزية ... تبشر بالدين الحنيف ولا نكر
إلى قلعة القدموس جيش وعسكر ... وأصبح في كل القلاع لهم أمر
بمينقة بعد الخوابي ومرقب ... وعلّيقة مصيافها البر والبحر
ومن رؤساء الوفد بدرٌ وحيدر ... وحامد مفتاح الأكيمة يا نصر
هم المحرزيون الذين وفوا بما ... به عاهدوا رب العلى وبه قروا

أولئك ابائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا الأولوية يا حرّ
وقل يا سلام الله في كل بكرة ... وأمسيةٍ يا مسك يا ندُّ يا عطر
أفيضوا على أرواحهم كل نسمة ... يطيبُ بها النادي وينتعشُ القبر

هذا هو نسب الشيخ كامل الخطيب، أصل شريف، وعرق كريم، ومغرس عظيم. تناول المجد كابراً عن كابر، وأخذ الفخر بين أسرّة ومنابر، واكتسب الشرف على الأصاغر والأكابر.

نهج الشيخ كامل الخطيب قدّس سرّه:

تخرج الشيخ كامل الخطيب قدّس سرّه من أعظم مدرسةٍ فقهيةٍ فلسفية علمية أدبية قامت في القرن العشرين، وهي مدرسة العلامة الأوحد الشيخ سليمان الأحمد قدّس سرّه، وهذه المدرسة ليست إلا نسخةً منتسخة عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإنما نسميها مدرسة العلامة الشيخ سليمان الأحمد قدّس سرّه باعتبار أنه هو مَن قام بإحياء علوم أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عملي، ولا يعني هذا أنها كانت معدومة، وإنما الخوف من الظلَمة والعمل بالتقية هما اللذان جعلا هذه العلوم طي الكتمان، وعندما جاءَ العلامة قدّس سرّه خرقَ جميع الحواجز التي كانت تقف في وجه العلويين وتَحُول دون تطبيق المذهب الجعفري، عدا عن أنه أدخل علوماً لم تكن

معروفة في منطقته، فخرج من هذه المدرسة علماء ابرارا هم انصار دين الله وحماة الحق وذادته وكتائب الله في أرضه، ولم يكن لهم في الطائفة عديلٌ ولا مثيل، فقهاً وعلماً ولغةً وأدباً وفلسفةً وفهماً للعلوم العصرية.

وكان الشيخ كامل الخطيب‌تتمُّ أحد أولئك العلماء العظماء، الذين انتهجوا نهجاً إصلاحياً، اقتداءً بأئمتهم المعصومين‌عليهم‌السلام.

وقد عبَّر الشيخ كامل الخطيب‌تتمُّ عن إكباره وإعظامه وإجلاله وإعجابه بعلامة الأجيال الشيخ سليمان الأحمد‌تتمُّ في شعره ونثره، ومما قاله شعراً في رثائه له:

عَلَمٌ كلما دجت نُوَب الدهر	جلاها صباحه بانبثاق
وحمى حوزة الأمانة والإسلام	والدين بالعوالي الدِّقاق
لا يبالي أمادت الأرض أم صارت	بزَخَّارها البحار سواقي
والولاء الصحيح يكمن في النفس	كمون الضياء في الآماق
فهو بين الكتاب يسبح والمحراب	درعاً والحبر والأوراق
داعياً للوئام في كفهِ الكأس	يحيي بصرفه كل ساقي
وعلى وجهه أسرَّة إخلاص	تفي بالحنان والإشفاق
يا إماماً تجسمت فيه روح	الحب والائتلاف والميثاق
بعثَ الله رحمةً علمك الضافي	ودوَّى صداه في الآفاق

ليس حظ الشام والمجمع العلمي منه خلاف حظ العراق
جارتان اشتكاهما الثبت الحر سال بدمعه الرقراق
لا تظن الوشاة أنك ميتٌ أنت حيٌ بعلمك الجم باقي

لقد كان الشيخ كامل الخطيب رحمه الله يعلم جيداً الحالة التي وصلت إليها الطائفة بسبب الظلم والاضطهاد عبر عصورٍ طويلة، وكان يدرك تماماً أنه لا بد من عملٍ يقوم به هو وأمثاله لإيقاظ الغافلين، فلم يترك وسيلةً إلا توسل بها، ولا حضرَ مجلساً إلا وكانت نصائحه تحرك مشاعر المؤمنين، وكانت نصائحه عبارة عن قصائد شعرية أُلقيت في مناسبات مختلفة.

فعلى سبيل المثال: ألقى قصيدة في عيد الغدير، أشارَ فيها إلى الظلم والاضطهاد الذي تعرض له العلويون، وكم عانى الآباء والأجداد من هذا الطغيان الذي لم يُسمح لهم بالاستقرار، وكيف يبنون مسجداً إذا كانوا في كل يومٍ يُطردون من قراهم، وكيف يقرأون إذا كانوا محرومين من التعلم، واقتناء الكتب، بل حتى النّزول إلى المدن، عُزلوا في تلك الجبال حتى يتخلوا عن ولائهم لأهل بيت رسول الله ﷺ ولكنهم ثبتوا ثبات الجبال التي احتموا بها على ولائهم وعقيدتهم، ولم يضعفوا ولم يستكينوا للمستبدين والظالمين، فاقرأ هذه الدرر لشيخنا الكامل:

يـا شـيعة الإمـام مـا عـراكِ   ومـا لقيـت مـن أذى الأتــراك

يـوم "سـليم" الغـادر السـفّاك   وسـفه العامـل في أسـراك

في الهام في الأعناق في النحور

سـبعون ألفـاً ذهبـوا ضـحية   ذبحـاً علـى هياكـل الحزبيـة

في بعـض يـومٍ وسـبي الذريـة   وغـادر الثمالـة البقيـة

ترزح تحت الظلم تحتَ النير

وبسبب هذا الطغيان اضطُر العلويون إلى العمل بالتقية التي هي رخصة لهم من أئمتهم عليهم السلام كما فعل عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، فأخفوا إسلامهم ليصونوا دماءهم، واضطروا إلى مجاملة جيرانهم من النصارى وغيرهم:

فأهملـت أعيادهـا جهـارا   وكتمـت إسـلامها اضـطرارا

وجاملـت جيرانهـا النصـارى   خوفـاً مـن الكـابوس واسـتتارا

تحت نقاب ليلها الجمير

وهذه المجاملة لجيرانهم سربت إليهم بعض عاداتهم، فربما ترى البعض يحتفل بأعيادهم، أو يمارس بعض طقوسهم، والذنب كل الذنب يعود على الباغي المتجبر الذي خيّرهم بين أمرين، إما التخلي عن مذهبهم، وإما أن يُقتلوا:

من ها هنا تسرّبت العادات والأخذ بالعدوى من الجارات
وَلّدها الجور الشديد العاتي وقرّها الجهل وللنُّواة

مكانها في الحائط العمير

ومع كل هذا الظلم الذي تعرضوا له، فإن المصلحين في تلك العصور قاموا بمحاولاتٍ كثيرة للتخلي عن الزوائد والعادات الدخيلة التي شابت صفاء المذهب، والمحافظة على الأصل نقياً من الأوهام والخرافات المستوردة من الآخرين، إلا أن هذه المحاولات كانت محدودة وليست مجدية في كثيرٍ من الأحيان:

وقام منهم نفرٌ ممن سبق يدعو إلى خلع القيود والربق
ففككت والحمد لله حلق وعبّدت برأيهم بعض الطرق

لكنها في النذر واليسير

ثم جاء في العصر الأخير مجموعة من العلماء الكبار ذوي الثقافات الواسعة والاطلاع الواسع على أحوال الشعب، وعلى كيفية تخليصه من تلك العادات والخرافات والأوهام، وعلى رأسهم علامة الأجيال الشيخ سليمان الأحمدﷺ، الذي فتح أبواباً من العلم كانت قد أغلقت، وحطّمَ أوثاناً كانت قد نُصبت، كاللجوء إلى المشعوذين والمدلسين والمحتالين الذين يدعون معرفة الغيب، أو الذين يصنعون الأوفاق وما يسمونه (حجاباً) ليحميهم دون خالقهم لقاء أجر، وما إلى ذلك، حتى عرفَ الجميع أن هذا من الشرك الخفي المنهي عنه، ومع ذلك نرى هذه الحالة منتشرة جداً في العالم الإسلامي، واليوم الفضائيات تعج بمثل هذه السخافات.

وجاء في العصر الأخير قادة   تدعو إلى اطراح كل عادة
وبيئة النقصان والزيادة   في الشعب أجنبية الولادة

كأنها اللقيط في العشير

إلى اطراح كل ما خرافه   من سفهٍ في الرأي أو سخافه
كالسحر والتنجيم والقيافه   فإنها للدين شرٌّ آفه

نمشي عليها مشية الضرير

هـذي تعاليمـك يـا علامـة قامـت علـى تطبيقهـا القيامـة
جنى عليهـا الجهـل والعمامـة والحمـد لله علـى السـلامة

سلامة الإيمان والتنوير

ومن الأمور التي كان يحاربها الشيخ كامل يوسف الخطيب الاجتهاد بالرأي وهوى النفس والتأويل من دون نص، فكان يدعو دائماً إلى العمل بالحديث الشريف:

« **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ** ».

لأن التمسك بكتاب الله والعترة الطاهرة فرضٌ من الله، ولا يضل من أطاع الله أبداً، ولا يجوز لأحدٍ أن يأخذ بنصٍ لم يأتِ من هذين الطريقين، لقول العلامة الشيخ سليمان الأحمد: « **لا يجوز الإعراض عن القليل النافع إلى الكثير الضار، فكيف يُعرَض عن الكثير النافع إلى القليل الضار** ».

قال مخاطباً أبناء قومه:

سلاماً بني قومي وأبناء ملتي وسمعاً لما تُملي عليكم قريحتي

فديتكم خلوا الشريعة مرجعا   ولا تمزجوها باللتيا وبالتي
كما فعلت أهل المذاهب قبلكم   وفرّقت الإسلام أية فرقة
وقولوا بما قال النبي وآله   هم العروة الوثقى وأهل الشريعة
ولا تأبهوا للقول من غير أهله   ولو جاءكم منه بألف وثيقة



الفصل الرابع

قراءة في شعر

الشيخ كامل يوسف الخطيب

قراءة في شعر الشيخ كامل يوسف الخطيب

مقدمة ديوان الشيخ كامل الخطيب

بقلم الأديب الأستاذ: إبراهيم محمد صالح يوسف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الذي اختاره واصطفاه محمد بن عبد الله، وعلى آل بيته الذين طهّرهم كتا الله. وعلى مَن آمن برسالته واهتدى بهداه وتأثر خطاه، وبعد:

لا أسهل ولا أصعب من التقديم للنوابغ والعباقرة.

لا أسهل: لأن العبقري يعطيك مجالاً واسعاً، وميداناً فسيحاً للقول، فمهما أشدتَ وأطريتَ، ومهما أسهبتَ وأطنبتَ لا تجانب الحقيقة ولا تجافيها.

ولا أصعب: لأن المقدِّم لأديب أو كاتب أو شاعر أو أي عظيم آخر، وبالأخص التقديم للشاعر، فيجب على المقدِّم أن يتقمصه كياناً وذاتاً وروحاً وفكراً، فهل يستطيع الشخص العادي أن يقدِّم لعبقري أو يتقمصه؟ إني أرى ذلك ضرباً من المحال. لا يُختَزل البحر في كأس، ولا الشمس بقبس.

الشيخ كامل يوسف علي الخطيب: هو ابن الشيخ يوسف علي الخطيب إمام عصره، وفقيه دهره، عبقرية من عبقرية،

قداسة من قداسة، طهر من طهر، نسب شريف كريم ينتهي إلى المُعز لدين الله الفاطمي، إلى محمد بن عبد الله سيد البشر:

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى رأداً ومن فلق الصباح عمودا

وهذا النسب موروثٌ ومحفوظ لدينا جميعاً كالعلق النفيس. وكم كان يعتزُّ به صاحب الديوان.

يكفي الشيخ كامل شرفاً أنه ابن الشيخ يوسف، ويكفي الشيخ يوسف فخراً أن ابنه الشيخ كامل.

وُلد الشيخ كامل في مطلع هذا القرن /١٩٠٠/ ميلادية، وتوفي في سنة /١٩٩٢/ في مسقط رأسه (ضهر جيبول). وأعتقد أن والده الخطيب الكبير هو الذي سمى هذا الضهر (رأس عرب) في أحضان الطبيعة العذراء، فجمع زكاه المولد، وذكاء الفطرة، ونقاء البيئة التي لم تدنسها الحضارة الزائفة، فجاء ـ لولا الكمال لله وحده ـ مكمّلاً.

عاشرتهُ منذ ستين عاماً، وعرفته منذ خمسين، وأقول عرفتهُ تجاوزاً، فقد عرفت منه ولم أعرفه.

إنه كان موسوعة فهم وعلم وذوق وظرف وسماحة وكياسة، عاش غني النفس من المهد إلى اللحد، وتقلّب من الناحية المادية بين الفقر والغنى، فكان في فقره عفيفاً عزيزاً كريماً، كما قال الله

تعالى: ﴿ يَحْسَبهم الجَاهِل أغنِيَاء مِنَ التَّعَفف تَعْرِفهم بسِيمَاهمْ ﴾[1]، وكان في غناه سمحاً جواداً.

(تــراه إذا مــا جئتــه مــتهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله)
كـان عَفـاً سمحـاً جـواداً كريمـاً شـاعراً نـاثراً أديبـاً لبيبـاً
إن يُحـدث فالجـد والهـزل منـه يأسـر السـمع والنهـى والقلوبـا

رضعَ حب محمد بن عبد الله نبيِّ الهدى والرُّحمة، وحب آل بيته أهل العصمة، من ثدي أمه ولسان أبيه وهو طفل، ثم من فِكر وعِلم مؤدبه ومفقهه الشيخ عبد اللطيف سعود قاضي قضاة الشرع الشريف وهو يافع، فكان حبهم غذاءه روحاً وجسداً وسمعاً وبصراً وفكراً وتقليداً، تأثر خطاهم قولاً وفعلاً وسلوكاً، كم وكم سمعته يردد بمناسبة وبغير مناسبة:

فيا ربِّ زِد قلبي هدىً وبصيرةً وزِد حبهم يا رب في حسناتي

وُلد الشاعر ومات شاعراً، وفي مرضه الأخير ذهبتُ مع ابنه الأديب الشاعر يوسف الخطيب لعيادته، وكنا عائدين من ذكرى مرور أسبوع على وفاة المرحوم الشيخ حيدر محمد حيدر، وبعد الاطمئنان عن صحته قلت له: يا خال توفي صديقك ورفيق دربك الطويل الشيخ حيدر أبو محمد، ألا ترثيه كما كنت تفعل مع

(1) (البقرة : ٢٧٣)

أصحابك وأصدقائك؟ فقال لي بالحرف الواحد: اما ترى حالي يا خالي؟ فسكتُّ، وبعد أقل من أسبوع عُدنا معاً أنا والخطيب الصغير لعيادته، وإذا به قد نظمَ برثاء الشيخ حيدر قصيدة من عيون الشعر، لم يُرثَ بأفضل منها نظماً، ولا بأصدق منها عاطفةً، ولا بأصح منها تعبيراً.

هذا هو ابن التسعين وما ينظم في مرضه الأخير، هذا هو الشيخ الجليل الشاعر الأديب الظريف اللبيب الشيخ كامل الخطيب.

امتازَ بين أقرانه وهم قلة بظرفه ولُطفه ونصاعة بيانه ونظافة قلبه ولسانه، امتاز بالملحة النادرة والنكتة البارعة، فكانت تنْزل على بعض النفوس برداً وسلاماً، وعلى بعض النفوس كلدغ سياط من نار تؤذي وتخزي، وفي كلتا الحالتين تكون النكتة البارعة في محلها، وكأن الشريف الرضي منذ ألف عام مضت يرثيه حين قال في رثاء ابن الحجاج:

سيبكي طويلاً عليك الزمان فقد كنتَ خِفة روح الزمان

كان معلماً بالقدوة لمن يستطيع أن يتعلم، كان يُعلمك وهو يشعرك أنه يتعلم منك، سمعتُ أحدهم يوماً يترنم بحضرته بقول الشاعر:

قلــعَ البـــاب وهـــزّ الفلكـــا ورواســي الأرض طــرّا دكــدكا
كــل مــن شــكٌ بـــه أو شَــكَكَا فهــو مـن حـيض نشـأ أو زنــى

فأعاد المغفور له هذه الأبيات وقال:

« كلُّ مَن شكَّ بهِ أو شَكَّكَا »

فالتقط السامع المعنى وحفظ الدرس، ولو كان المعلم غيره لأنحى باللائمة على المترنِّم، وقال له: ما هذا الغباء؟ وما هذا معنى كلمة « شَكَكَا » ؟ وهل في اللغة العربية مثل هذه الكلمة؟..

وفي يومٍ من الأيام كنتُ أرافقه من قرية بشراغي إلى ضهر جيبول سيراً على الأقدام، وفي الذروة في موقع الصور ترنَّمت ببيت المتنبي:

أفعالـهُ نسـبٌ لـو لم يقـل معهـا جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن

فأعاد البيت مباشرةً:

أفعالـهُ نسـبٌ لـو لم يقـل معهـا جدي الخطيب عرفنا العـرق بالغصـن

فما رأيك أيها القارئ اللبيب؟ هل مرٌ عليك أو معك أسمى وأعلى وأحلى وأغلى من هذا الاستدراك اللطيف؟ إنني أنا شخصياً سأبقى ما حييت كلما ذكرت ذلك أترنَّح منتشياً بخمر

العبقرية، وأحني رأسي إجلالا للخال العزيز، وعرفانا بالجميل الذي أولى، وصدق رسول الله الكريم: « **إنّ من البيان لسحراً** ».

لقد قلتُ آنفاً إن البحر لا يُختَزل بكأس، والشمس لا تُختصر بقبس، مهما حاول المحاولون، بعضُ الكتب تُقرأ من العنوان، ولكن ديوان الشعر لا يُقرأ إلا من الديوان، وها أمامك أيها الذواقة هذا الديوان ـ الحديقة والبستان ـ فمتِّع نظرك من الزهر بمختلف الألوان، وسمعك بأعذب الألحان، وانهل من العذب الفرات، واجن وتذوّق أطيب الثمرات.

هذا هو السِّحر الحلال مجسَّداً فانهل وعُبَّ ـ كما تشاء ـ وأكثرِ
فلأنت ـ يا ذواقة الأدب الذي يروي الغليل ـ على ضفاف الكوثر

تغمّدك الله بواسع رحمته، فأنت خالدٌ في ظله، حيث لا ظل إلا ظله، بحسن ولائك، وصالح عملك، وخالدٌ في هذه الدنيا بطيب ذكرك، ونتاج يراعك.

رَبِّ أَنزِلْهُ مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ

قراءة في شعر الشيخ الأديب كامل الخطيب

الشعر الديني:

نظم الشيخ كامل الخطيبتَتَنُّ قصيدتين في الغدير، الأولى سماها (في بيعة الغدير)، والثانية: (قطراتٌ من سلسبيل الغدير).

ولا يشك عاقل في صدور حديث الغدير عن المصدر النبوي المقدس، وأما دلالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين/ع/، فإنه مهما شُكك في شيء فلا يُشك في أن لفظة (المولى) سواء كانت نصاً في المعنى الذي نحاوله بالوضع اللغوي أو مجملة في مفادها لاشتراكها بين معان جمة، وسواء كانت عرية عن القرائن لإثبات ما ندعيه من معنى الإمامة أو محتفة بها، فإنها في المقام لا تدل إلا على ذلك لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم، ومن بلغه النبأ بعد حين ممن يحتج بقوله في اللغة من غير نكير بينهم، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب حتى عصرنا الحاضر، وذلك حجة قاطعة في المعنى المراد، وفي الطليعة من هؤلاء مولانا أمير المؤمنين/ع/، حيث كتب إلى معاوية في جواب كتاب له ما نصه:

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خم

ومنهم: حسان بن ثابت الحاضر مشهد الغدير وقد استأذن رسول الله ﷺ أن ينظم الحديث في أبيات منها قوله:

فقال له: قم يا علي؟ فإنني رضيتك من بعدي إماما وهاديا

ومن أولئك: الصحابي العظيم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي يقول:

وعلي إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي: من كنت مولا ه فهذا مولاه خطب جليل

ومن القوم: محمد بن عبد الله الحميري القائل:

تناسوا نصبه في يوم خم من البادي ومن خير الأنام

ومنهم: عمرو بن العاصي الصحابي القائل:

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خم رقى منبرا وبلغ والصحب لم ترحل
فأمنحه إمرة المؤمنين من الله مستخلف المنحل
وفي كفه كفه معلنا ينادي بأمر العزيز العلي
وقال: فمن كنت مولى له علي له اليوم نعم الولي

ومن اولئك: كميت بن زيد الاسدي الشهيد ١٢٦ حيث يقول:

ويوم الدوح دوح غدير خم   أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها   فلم أر مثلها خطرا مبيعا

ومنهم شيخ العربية والأدب أبو تمام المتوفى ٢٣١ في رائيته بقوله:

ويوم الغدير استوضح الحق أهله   بضحياء لا فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها   ليقربهم عرف وينآهم نكر
يمد بضبعيه ويعلم: أنه   ولي ومولاكم فهل لكم خبر
يروح ويغدو بالبيان لمشعر   يروح بهم غمر ويغدو بهم غمر
فكان لهم جهر بإثبات حقه   وكان لهم في بزهم حقه جهر

وتبع هؤلاء جماعة من جهابذة العلم والعربية الذين لا يجهلون وضع الألفاظ، ولا يتحرون إلا الصحة في تراكيبهم وشعرهم، كدعبل الخزاعي. والحماني الكوفي. والأمير أبي فراس. وعلم الهدى المرتضى. والسيد الشريف الرضي. والحسين بن الحجاج. وابن الرومي. وكشاجم. والصنوبري. والمفجع. والصاحب بن عباد. والناشي الصغير. والتنوخي. والزاهي. وأبي

العلا السروي. والجوهري. وابن علوية. وابن حماد. وابن طباطبا. وأبي الفرج. والمهيار. والصولي النيلي. والفنجكردي. إلى غيرهم من أساطين الأدب وأعلام اللغة، ولم يزل أثرهم مقتصا في القرون المتتابعة إلى يومنا هذا، وليس في وسع الباحث أن يحكم بخطأ هؤلاء جميعا وهم مصادره في اللغة ومراجع الأمة في الأدب.

ومن شعر ابن الرومي المتوفى ٢٨٣هـ:

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى	عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبي للوصي مخيم	في الصدر يسرح في الفؤاد تولجا
فهو السراج المستنير ومن به	سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجد	يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيم طريقه	جهلا وأتبع الطريق الأعوجا؟!
وأراه كالتبر المصفى جوهرا	وأرى سواه لناقديه مبهرجا
ومحله من كل فضل بين	عال محل الشمس أو بدر الدجا
قال النبي له مقالا لم يكن	يوم (الغدير) لسامعيه ممجمجا
من كنت مولاه فذا مولى له	مثلي وأصبح بالفخار متوجا

ومن شعر الخطيب الخوارزمي المولود ٤٨٤ المتوفى ٥٦٨ :

ألا هل من فتى كأبي تراب — إمام طاهر فوق التراب؟!
إذا ما مقلتي رمدت فكحلي — تراب مس نعل أبي تراب
محمد النبي كمصر علم — أمير المؤمنين له كباب
هو البكاء في المحراب لكن — هو الضحاك في يوم الحراب
وعن حمراء بيت المال أمسى — وعن صفرائه صفر الوطاب
شياطين الوغى دحروا دحورا — به إذ سل سيفا كالشهاب
علي بالهداية قد تحلى — ولما يدرع برد الشباب
علي كاسر الأصنام لما — علا كتف النبي بلا احتجاب
علي في "النساء" له وصي — أمين لم يمانع بالحجاب
علي قاتل عمرو بن ود — بضرب عامر البلد الخراب
حديث براءة وغدير خم — وراية خيبر فصل الخطاب
هما مثلا كهارون وموسى — بتمثيل النبي بلا ارتياب
بني في المسجد المخصوص بابا — له إذ سد أبواب الصحاب
كأن الناس كلهم قشور — ومولانا علي كاللباب
ولايته بلا ريب كطوق — على رغم المعاطس في الرقاب

ومن شعر الناشي الصغير المولود ٢٧١ المتوفى ٣٦٥:

ذاك علـــي الـــذي تفـــرده   في يوم " خم " بفضله اتضحا
إذ قـال بـين الـورى وقـام بـه   معتضـــدا في القيـام مكتشـحا
من كنت مـولاه فالوصـي لـه   مـولى بـوحي مـن الإلـه وحـا
فبخبخـــوا ثــم بـايعوه ومــن   يبـــايع الله مخلصـــا ربحـــا

وله أيضاً:

ذراري أحمـــد وبنـــو علـــي   خليفتـــه فهـــم لـــب لبـــاب
تنـــاهوا في نهايـــة كـــل مجـــد   فطهـــر خلقهـــم وزكـــوا وطـــابوا
إذا مـــا أعـــوز الطـــلاب علـــم   ولم يوجـــد فعنـــدهم يصـــاب
محبـــتهم صـــراط مســـتقيم   ولكـــن في مســـالكه عقـــاب
ولا ســـيما أبـــو حســـن علـــي   لـــه في الحـــرب مرتبـــة تهـــاب
كـــأن ســـنان ذابلـــه ضـــمير   فلـــيس عـــن القلـــوب لـــه ذهـــاب
وصـــارمه كبيعتـــه بخـــم   معاقـــدها مـــن القـــوم الرقـــاب
علـــي الـــدر والـــذهب المصـــفى   وبـــاقي النـــاس كلـــهم تـــراب
إذا لم تـــبر مـــن أعـــدا علـــي   فمـــا لـــك في محبتـــه ثـــواب

ومن شعراء القرن التاسع ابن العرندس الحلي، يقول:

هذا الذي حاز العلوم بأسرها ... ما كان منها مجملا ومفصلا
وبه توسل آدم لما عصى ... حتى اجتباه ربنا وتقبلا
وبه دعا نوح فسارت فلكه ... والأرض بالطوفان مفعمة ملا
وبه الخليل دعا فأضحت ناره ... بردا وقد أذكت حريقا مشعلا
وبه دعا موسى تلقفت العصا ... حيات سحر كن قدما أحبلا
وبه دعا عيسى المسيح فأنطق ... الميت الدفين به وقام من البلا
وبخم واخاه النبي محمد ... حقا وذلك في الكتاب تنَزلا
عذل النواصب في هواه وعنفوا ... فعصيتهم وأطعت فيه من غلا
ومدحته رغما على آنافهم ... مدحاً به ربي صدا قلبي جلا
وتراب نعل أبي تراب كلما ... مس القذا عيني يكون لها جلا
فعليه أضعاف التحية ما سرى ... سار وما سح السحاب وأهملا

ومن شعر ابن الحجاج البغدادي المتوفى ٣٩١:

لا قدس الله قوما قال قائلهم: ... بخ بخ لك من فضل ومن شرف
وبايعوك (بخم) ثم أكدها ... (محمد) بمقال منه غير خفي
عاقوك واطرحوا قول النبي ولم ... يمنعهم قوله: هذا أخي خلفي
هذا وليكم بعدي فمن عقلت ... به يداه فلن يخشى ولم يخف

ومن شعر ابن العودي النيلي المولود ٤٧٨ المتوفى ٥٥٨:

لحى الله قوما أجلبوا وتعاونوا على (حيدر) فيما أساؤوا وأجرموا
زووا عن أمير النحل بالظلم حقه عنادا له والطهر يغضي ويكظم
وقد نصها يوم (الغدير) محمد وقال: ألا يا أيها الناس فاعلموا
لقد جاءني في النص: بلغ رسالتي وها أنا في تبليغها المتكلم
علي وصيي فاتبعوه فإنه إمامكم بعدي إذا غبت عنكم

وها هو اليوم علامتنا الشيخ كامل الخطيب قدس سره يدخل في زمرة شعراء الغدير من أوسع الأبواب، ويخرج للعالم قصائد قلَّ أن يجود الشعر بمثلها، وإليكها أيها القارئ الكريم:

في بيعة الغدير[1]

لبّيــك يـــا داعيـــة الغــدير   إلى الـــولاء الحـــق للأمـــير
إجابـــةً للمالـــك القـــدير   وطاعـــةً للصـــادق البشـــير

أسمع به من مسمع خبير

لبيــك يــا نــداء يــوم خــم   مــن الــنبي الهــاشمي الأمــي
خــير الأنــام المخــول المعــم   إذ قــام في الأخــص والأعــم

منادياً بصوته الجهير

---

(١) وقد صرّح رسول اللهﷺ بإمامة أمير المؤمنين بأمر العلي الأعلى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[المائدة: ٦٧] في/١٨/ ذي الحجة/١٠/هـ فأخذ بيد علي/ع/ وقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. ثم بايع المسلمون علياً بإمرة المؤمنين وقال أبو بكر وعمر: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. ثم أعقب ذلك نزول الآية القرآنية: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[المائدة : ٣] .

يـــا قــوم مــن كنــت لــه وليــا فـــإن مـــولاه غـــدا عليـــا
أخـــا الـــنبي الصـــادق الوفيـــا خلـــيفتي علـــيكم الوصـــيا

أخي معيني صاحبي نصيري

يـــا رب والِ كـــل مـــن والاه وقـــالِ اللـــهم مـــن قـــالاه
وانصـــره وانصـــر ناصـــراً عُـــلاه يـــا رب واخـــذل خـــاذلاً مـــولاه

وأدِر الحق مع الأمير

كـــان نـــداؤه عقيـــب الآيـــة لمـــا أتتـــه آيـــة الحمايـــة
مصـــرحاً بـــالحق والولايـــة عـــن ربـــه وعصـــمة النهايـــة

من الورى في حجه الأخير

إذ جـــاءه: يـــا أيهـــا الرســـول بلّـــغ وقـــل واصـــدع بمـــا تقـــول
أو لا فمـــا بلّغـــتَ والتنْزيـــل ســـفرٌ عـــداه عنـــدك التأويـــل

والله يكفيك أذى الشرور

وقـــال يـــوم الـــدوح مـــا قـــال مـــرأى الكـــثيرين ومســـمع المـــلا
ألســـت أولى بكـــم قـــالوا بلـــى فقال رب اشهد على صدق الـولا

ها إنني بلّغت بالتخبير

يا قـوم إنـي قـد دنـت وفـاتي　　شـأن الـدعاة الرسـل الهـداة
وإنـــني أســـأل في رفـــاتي　　وتُســـألون بعــد عــن ولاتـــي

والجد بالطاعة والتقصير

وقـــد تركـــت فـــيكم خليفـــة　　طيبـــة طـــاهرة نظيفـــة
كتـــاب ربـــي آيـــة شـــريفة　　وعترتـــي الصـــالحة العفيفـــة

فانجوا بهم من ظلمة التحيير

وقال "مـن كنـت" تمـام القصـة　　أمـــرٌ مـــن الله تعـــالى نصّـــه
فكـــان في الـــذروة في المنصـــة　　وفي الحلاقـــيم شـــجىً وغصـــة

وسلسلاً من مائه النمير

عنايـــــة الله بـــــه عنايـــــة　　مـــا دونهـــا لـــذي حصـــاة غايـــة
تمَّ بهـــا الإيمـــان والولايـــة　　فـــأنزل الله عليـــــه الآيـــة

اليوم أكملت لكم تذكيري

اليـــوم أكملـــت كمـــال الـــدين　　علـــى لســـان الصـــادق الأمـــين
وتمـــت النعمـــة عـــن يقـــين　　ورُضـــي الإســـلام خـــير ديـــن

لأمة المبلّغ النذير

وأخـذ العهـد بتلـك السـاعة　　لصـاحب الأمـر علـى الجماعـة
فرضاً له علـى الجميـع الطاعـة　　يا ليت علـم العهـد مـن أضـاعه

في هوّة التفريط والتبذير

فهنـــأ النـــاس أبـــا تـــراب　　بمـــا حبـــاه الله مـــن محـــاب
قضـــى لـــه البيعـــة في الرقـــاب　　وخصـــه بالـــذكر في الكتـــاب

إمام حقٍ وهدى منير

وبَلَغ "الفهري"[1] نصُّ الهادي　　علـــى إمـــام الحـــق والرشـــاد
فجـاء لا يلـوي علـى الآحـاد　　معتجـــراً بـــبردة الحسَّـــاد

---

(١) في الغدير أجرى الله معجزة على يد رسوله الكريم لتكون إمضاء إلهياً لولاية علي بن أبي طالب/ع/، ففي اليوم الثالث من الغدير جاء رجل اسمه الحارث الفهري مع اثنى عشر رجلا من أصحابه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضّلته علينا وقلت: « **من كنت مولاه فعلي مولاه** ». أهذا شي من عندك أم من الله؟ فقال ﷺ: **والله الذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله.** فولّى الحارث يريد راحلته وهو يقول: "اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم". فما وصل =

يوقد نار الحقد في الضمير

وقال: يا محمد استحقرتنا وبالشهادتين قد أمرتنا
والصلوات الخمس قد حذرتنا إهمالها والصوم كم أشعرتنا

فيه بواجب حجنا المبرور

كذا الزكاة شرحها يطول وكل ذا كان لنا القبول
به وعند أمرك النُّزول ولم يكن يكفيك ما تقول

حتى تفوَّهتَ بقول الزور

= إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[المعارج : ١]. فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: رأيتم؟ قالوا: نعم. قال: وسمعتم؟ قالوا: نعم. قال: طوبى لمن تولاه والويل لمن عاداه. كأني أنظر إلى علي وشيعته يوم القيامة يزفُّون على نوق من رياض الجنة، شباب متوّجون مكحّلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قد أُيّدوا برضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم. حتى سكنوا حظيرة القدس من جوار رب العالمين، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين وهم فيها خالدون. ويقول لهم الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد : ٢٤].

لمـــا أخـــذتَ بيـــد علـــي تخطــب في الأمـــة ذا وليـــي
أمنــكَ أم مــن ربــكَ العلــي؟ فكــان أوفــى قولــه الجلــي

والله بل من أحدٍ شكور

فذهب الحارث نحـو الراحلـة يسـأل مـن رب السـماء النازلـة
إن كـان قـولاً كـان طـه قائلـه حقـاً فمـا إن أمهلتـه العاجلـة

حتى رماه الله بالتتبير

وفيـه جـاءت سـورة العـذاب لســائل عُوجـــل بالعقـــاب
ســخطاً مــن المنــتقم الغــلاب أنزلـــهُ الله علـــى المرتـــاب

ومُنكر البيعة في الغدير

تـالله لـولا يـوم خـم مـا كمـل ديـن الـنبي المصـطفى ولا نـزل
وحـيٌ مـن الله بـه عـز وجـل أن رضـي الإسـلام دينـاً وعمـل

فيه وتمت نعمة القدير

معرفــة الإمــام خــير نعمـــة هدايـــةٌ ومنَّـــةٌ ورحمـــة
إمـــامُ عـــدلٍ وأبـــو أئمـــة ووارثٌ عـــن الـــنبي علمـــه

تمَّ به الإيمان في الصدور

إن عـدّتِ النـاس هـو الإمـام كيومـه إن عـدّت الأيـام
عيـدٌ بـه تـألّق الإسـلام وادّخرتـه السـادة الأعـلام

للدين للتوحيد للسرور

يـا شـيعة الإمـام مـا عـراكِ ومـا لقيـت مـن أذى الأتـراك
يـوم "سـليم" الغـادر السفّاك وسـفه العامـل في أسـراك

في الهام في الأعناق في النحور

سـبعون ألفـاً ذهبـوا ضـحية ذبحـاً علـى هياكـل الحزبيـة
في بعـض يـومٍ وسـبى الذريـة وغـادر الثمالـة البقيـة

ترزح تحت الظلم تحتَ النير

فأهملـت أعيادهـا جهـارا وكتمـت إسـلامها اضـطرارا
وجاملـت جيرانهـا النصـارى خوفـاً مـن الكـابوس واسـتتارا

تحت نقاب ليلها الجمير

حتـى رمـت باللقـب الشـريف عنـد تـداعي مجـدها المنيـف
خوفـاً علـى جوهرهـا اللطيـف وهربـاً مـن رائـد الحتـوف

وكثرة استبداده المبير

كـأن نفـسَ العلـوي قبّـرة		مطـرودة مـن عشـها منفـرة
تلجـأ للشـوك وتخشـى أبـره		وإنمـا السـهم تعـدى وتـره

فاحتملي يا نفسُ أو فطيري

من ها هنـا تسرَّبت العـادات		والأخذ بالعـدوى مـن الجـارات
وَلَّـدها الجـور الشـديد العـاتي		وقرَّهـا الجهـل وللنُّـواة

مكانها في الحائط العمير

لكنمـا أسـلافنا الأمجـاد		تفضـلوا وأحسـنوا وجـادوا
ضـنُّوا بـرأس المـال والجـواد		نجـا فكـان الـزاد والعتـاد

ولاء أهل البيت أهل الخير

طـووا علـى الجـوهرة الثمينـة		أفئـدةً طـاهرةً أمينـة
فكانـت الغـذاء والسـكينة		وكانـت العـزاء للحزينـة

من النفوس الحرة الشعور

واحتفَظـوا بهـا لمـن تلاهـم		ممـن ولاؤهـم لهـم ولاهـم
لا يسـمعون قـولَ مـن قلاهـم		لا زخرف الـدنيا بغـوا ولا هـم

ينتظرون العفوَ من مجير

فكــــان حــــبهم لال طـــــه   ذخــــيرة تكبــــر ان تضــــاهى
حشَوا بهـا الأسمـاء والأفواهـا   وكـــم رأوا لمــــا رأوا ســــواها

في سكنات الليل من سمير

ولم يكـن لـولا الـتجني عنـدنا   إلا منــى حقّــق فيهــا وعــدنا
ولم نكــن نضـيع فيــه رشـدنا   لو لم نكـن قلـيً ونخشى ضـدنا

وما لنا في القوم من نصير

وقــام مــنهم نفــرٌ ممــن سـبق   يـدعو إلى خلـع القيـود والربـق
ففككـــت والحمـــد لله حلـــق   وعبِّـدت بـرأيهم بعـض الطـرق

لكنها في النذر واليسير

إذ كــان لمــا يــزل الكـــابوس   تـــئن تحـــت عبئـــه النفـــوس
وتخضــع الأعنـــاق والـــرؤوس   لثقلـــه رُحمـــاك يـــا شمـــوس

رحماك ربي أين عصر النور

وجـاء في العصـر الأخـير قـادة   تـــدعو إلى اطـــراح كـــل عـــادة
وبيئـــة النقصـــان والزيـــادة   في الشـــعب أجنبيـــة الـــولادة

كأنها اللقيط في العشير

إلى اطـــراح كـــل مـــا خرافـــه		مـــن سـفهٍ في الـرأي أو سـخافه
كالسـحر والتنجـيم والقيافـه		فإنهــا للـــدين شــرٌ آفـــه

نمشي عليها مشية الضرير

هـــذي تعاليمــك يــا علّامـــة		قامـت علـى تطبيقهـا القيامـة
جنى عليهـا الجهـل والعمامـة		والحمـــد لله علــــى الســـلامة

سلامة الإيمان والتنوير

يــا أمــة الوصــي مــا أغنانــا		عـــن أن نُلــفَّ بـــردا ســـوانا
وعنـــد نـــامِ البُـــرد مـــا كفانـــا		آن لنـــا أن نرعـــوي قـــد آنـــا

فنبدل الكتان بالحرير

يـــا خـــير أمـــة وخـــير ملـــة		هــــلا تيقظـــت لهـــذي الزلـــة
رغبـــت بالغطـــاس والقوزلـــة		عـــن الغـــدير صـــاحب المظلـــة

غبنتِ في الصفقة بالتخسير

أيـــن هرقـــل الملـــك الرومـــاني		مـــن خـــاتم الرســـل فتـــى عـــدنان
وأيـــن قسـطنطينية النصـــراني		مـــن كاســـر الأصــنام والأوثـــان

ابن أبي طالب الشهير

الــــول والله علـــيّ يشـــــهد إن الغـــدير فضلـــه لا يجحـــد

أفضل أعيـاد الـورى[1] وأمجـد وأعظـم الأيـام وهـو الأوحـد

فيها بلا مثل ولا نظير

فســـــلموا للأمـــــر والإرادة وأخلصــــوا لله في العبـــــادة

واجتهـدوا في طلـــب الزيـــادة فـــالعلم كنْــز كــل مـــن أفـــاده

أفاد كل الخير في الأمور

---

(١) جاء في إقبال الأعمال للسيد علي بن طاووس الحلي: قال الإمام الرضا/ع/: إذا كان يوم القيامة زفت أربعة أيام إلى الله كما تزف العروس إلى خدرها، قيل: ما هذه الأيام؟ قال: يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة ويوم الغدير، وإن يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب.. إلى قوله: ومثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين/ع/ في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين/ع/ في يوم الغدير كمثل إبليس.اه

وجاء في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب/ع/ في الكتاب و السنة و التاريخ: قال رسول اللهﷺ: يوم غدير خُمّ أفضل أعياد أمّتي وهو اليوم الذي أمرني اللّه تعالى ذكره فيه بنصب أخي عليّ بن أبي طالب عَلَماً لأمّتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل اللّه فيه الدين، وأتمّ على أمّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً.

وابتهجوا في عيدكم سروراً وأظهروا الغبطة والحبورا
وعطِّروا بذكره العصورا وطيِّبوا الأكواخ والقصورا

وانحوا على الأيام والشهور

بهكذا أوصاكم الإمام والسادة الأئمة الكرام
والسلف الصالح والختام عليكم الرحمة والسلام

بالمسك بالمندل بالعبير

القصيدة الثانية في الغدير:

قطراتٌ من سلسبيل الغدير

قطراتٌ من سلسبيل الغدير أخذت في مشاعري وشعوري
ذكَرتني - وما نسيت - عهوداً حافلات بالنفع والتذكير
يوم قام النبي يخطب في القوم على مسمع ومرأى الكثير
في حشودٍ كأنها رهج القيظ تمادى على بساط الهجير
وجموعٍ تربو على مائة الألف بتعدادها وجمٍ غفير
(قائلاً للجميع من فوق دوح جمعوه لأمره المقدور)

أنـــا أولى بـــالمؤمنين وربـــي خطهـــا في كتابــه المســطور
أتقولـــون هكـــذا؟ فأجـــابوا: كلنـــا شـــاهدٌ شـــهود حضـــور
قلــتَ صــدقاً وإنمــا أنــت مولانــا جميعـــاً وذاك فخـــر الفخـــور
قـــال: فاصـــغوا إذن لقـــولي ومـــا أبديـــه مـــن خطبـــةٍ ومـــن تقريـــر
أيهـــا النـــاس كـــل مـــن كنـــت مـــولاه علـــيٌّ مـــولاه غـــير نكـــير
فـــاسمعوا لـــي وأنصـــتوا وأطيعـــوا واقبلـــوا مـــا يبـــوح فيـــه ضـــميري
في علـــيٍ خلـــيفتي ووصـــيي ووليـــي وصـــاحبي ونصـــيري
إن هـــذا إمـــامكم فـــاعرفوه إن هـــذا ولـــيكم في الأمـــور
والِ يـــا رب مـــن يـــوالي عليـــاً عـــن يقـــين وانصـــره نصـــر قـــدير
يـــا إلهـــي واخـــذل علـــى كـــل حـــالٍ خاذليـــه وحطهـــم في الســـعير
وأدر حيـــث دار دائـــرة الحـــق مـــع الصـــادق الـــولي الأمـــير
فأجابـــت بعـــض النفـــوس وطابـــت وأنابـــت بـــالقول والتعـــبير
وتمـــادت بغيهـــا الأنفـــس الشـــح وخابـــت بـــالظن والتفســـير
مـــن ولـــيٍ مُحَبـــذ أعجبتـــه دعـــوة الصـــادق البشـــير النـــذير
وعـــدوٍ مشـــاكس خدعتـــه قولـــة الـــواعظ الأمـــين الســـفير
ومريـــبٍ أتـــى يبخـــبخ والحقـــد يغـــذي أتونـــه في الضـــمير
قـــائلاً: يـــا علـــي صـــرتَ وليـــاً لمـــوالي محمـــد في الـــدهور
ومضـــى ينســـج الســـقيفة نســـجاً بخيـــوط الخـــداع والتغريـــر
في ســـوادٍ كأنـــه غســـق الليـــل وضـــغنٍ كظلمـــة الـــديجور

وأنـــاس علـــى اخـــتلاف لفـــاهم   اخـــذوا ضـــلة بقـــول الفـــرور
حملوهـــا يـــوم الســـقيفة أثقـــالاً   تهـــاوى بهـــذيل وثـــبير
وجنوهـــا جنايـــةً ضـــاقَ عنهـــا   وُســـع حُمّالهـــا وســـوء المصـــير
عبثـــت بالكيـــان والـــدين والأمـــة   واســـتأثرت بـــزرع الشـــرور
وإلى الحشـــر والمعـــاد يـــوم الـــدين   تبقـــى آثارهـــا والنشـــور
أنّ منهـــا الإســـلام وانصـــدع الشـــعب   بنشـــر الفســـاد والتزويـــر
كـــم أطاحـــت بقائـــدٍ وعميـــد   وأســـاءت لمعشـــرٍ وعشـــير
وإلى الآن عصـــبة الخـــير والشـــر   يعـــانون معضـــلات الأمـــور
أهـــل هـــذا للخـــير الخـــير يـــدعون   وأهـــل الشـــرور للشـــرير
كـل هـذا ولـيس ينجـو لـدى الحشـر   سـوى مـن أجـاب داعـي الغـدير

ومن توسلات الشيخ كامل الخطيب قدس سره:

توسل

لسـت أرجـو النجـاة مـن كـل   مـا أخشـاه إلا بأحمـد وعلـي
وببنـت الـنبي فاطمـة الطـ   ـهر وسـبطيه والإمـام علـي
وأبـي جعفـر محمـد والصـا   دق والكـاظم الإمـام الـولي
والرضـا والجـواد مـولاي والـ   ـهادي مـع العسـكري والمهـدي

فبهم أتقـي وأحفـظ دنيـا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ي ويحميني مـن كيـد كـل غـوي

وإذا عضَّـني الزمـان وآنا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نـي فهـم عـدتي لـدفع أذي

المراثي:

قال يرثي علامة الأجيال الإمام الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله:

لمن السرير من البخور ومن المسجى في السرير
تسري به نسم الرياحين الشذية بالعطور
وتسيل حبات القلوب عليه كالبرد النثير
هذا سليمان الزمان يجود بالنفس الأخير
ركبَ البساط وما تعثّر فوق أجنحة العصور
ورقى به متنَ السحاب وجابَ أودية الأثير
يمشي على ضوء الشموس المشمعلة والبدور
نورٌ على نور تعالى الله مشرق كل نور
يا راحلاً وعلى جبين الدهر منه شذى زهور
أوحشتَ سكان القصور وأنست في أهل القبور
رفقاً بخاطر أمةٍ مُنيت بقاصمة الظهور
قضّت مضاجعها الخطوب ومضّها صوت النكير
ومشت على مهجاتها تسعى إلى قدمي ضرير
وتبثك الشكوى بأنّات الكآبة والزفير
لما دعتك وللملمّات العظائم والأمور
جفّت كؤوس القوم والأمواه تطفح في الغدير

والظـــل فضـــفاض وللظمـــأى معانـــــــاة الحــــــرور

والليلـــة الليـــلاء أحـــوج مــــا تكـــون إلى مـــنير

فابعـــث خيالـــك زائـــراً يشـــرف علـــى هـــذا المصــير

ويمـــرُّ في دنيـــا الأمـــاني فهـــو مرمـــوق المـــرور

ويعيـــد كـــأس الحـــب مترعـــةً إلى كـــــف المريــــــر

وابعـــث نصـــائحك الشـــهية في الأصـــائل والبكــــور

تجـــري بهـــنَّ يراعـــة عجمـــاء تنطـــق بالصــرير

تغـــني عـــن المـــاء الـــزلال بريقهـــا العـــذب الـــنمير

وتمـــدُّ أســـلاك الهدايـــة فـــوق أعمـــدة الســطور

فـــإذا الصـــحائف يـــوم تُنشـــر كالصـــحائف في النشـــور

بيضـــاء ناصـــعة الرشـــاد بعكـــس حالكـــة الشـــعور

لا تبطـــر الـــدنيا بـــأقلام الغوايـــة والشـــرور

ولترتقـــب للبغـــي والبـــاغين ســـــاعات العثـــور

فـــالحق أولى أن يُقـــام وأن يعـــزَّز بالنصـــير

مـــا كـــل أشـــداق الســـباع تكـــون تصـــلح للـــزئير

ورثاه بقصيدةٍ ثانية، منها:

حــالَ عهــدُ البــدور في الآفــاق وتخلَّــت عــن ثمّهــا للمحــاق
جنحَـــت للسُّـــرار إلا بقايـــا في زوايـــا الإيمـــاض والإشـــراق
كلمـــا هزَّهـــا اللقـــاء بوعـــد يــــتراءى لهـــا وعيـــد الفـــراق
لا تســل أيــن عهــدها بســليمان ومصـــــباح هديـــــه الـــــبراق
وسل الأمـتين أيـن السـنا الهـادي يُزجـــي شُـــذّانها للوفـــاق
قبسٌ ماثـلٌ علـى الـدرب والـدرب يحيـــي شـــوارد الأحـــداق
فكـأن الصـراط دنيـا مـن الأنـوار تغشـــي بصـــائر المـــراق
وكـأن الأنــوار منبســط الــدأماء محلولـــة الحُبـــى والنطـــاق
شُـعَلٌ مـا الـتهبن حتـى استضـاء الكـــون بـــاللألآت والائـــتلاق
وإذا مـــبرم الأباطيـــل تنحـــلُّ عُـــراه بأنمـــلِ الإزهـــاق
كـــلُّ أســـطورةٍ تخلَّلـــها الـــوهم طـــويلاً فحـــزَّ في الأعنـــاق
وشظايا خرافـة تحمـل الأجيـال مـــن نفـــثهن كالأريـــاق
بــين ســحرٍ وجنــةٍ وتهاويــل غـــلاظٍ وترَّهـــات دِقـــاق
أخمـدَت صـوتها ورجـعَ صـداها آيـــةٌ مـــن رســـالة الخلّـــاق
معجزٌ من رُقى سليمان في الأرض ومرقـــى بســـاطه في المراقـــي
طائفـاً حـول أمـةٍ آخـت الأوهـام مـــا بينهـــا وبـــين الوثـــاق
فترامت قيودهـا حـول مغناطيس عرفانـــه علـــى الإطـــلاق

وغدا بعضها على جانح الريح وبعض في ظلمة الأعناق
حطَّمتها قلامةٌ من مساعيه وصاغت قلادةً للرفاق
طوَّقت جيدَ أمةٍ جزتِ النعماء شكراً معصفر الأطواق
ووفاءً يفيض كالخاطر الملتاع غصَّت به حشى المشتاق
وولاءً صفا على ميعة الحب فروّى الثرى بكأسٍ دهاق
يا دماء القلوب والأعين النجل تجلى على رؤى الأشواق
في سبيل الوفاء صبغتك الحمراء يا حمرة الدم المهراق
ما بكينا أبا محمد إلا حذر الرهقات والإرهاق
عَلَمٌ كلما دجت نُوَب الدهر جلاها صباحه بانبثاق
وحمى حوزة الأمانة والإسلام والدين بالعوالي الدِّقاق
لا يبالي أمادت الأرض أم صارت بزَخَّارها البحار سواقي
والولاء الصحيح يكمن في النفس كمون الضياء في الآماق
فهو بين الكتاب يسبح والمحراب درعاً والحبر والأوراق
داعياً للوئام في كفهِ الكأس يحيي بصرفه كل ساقي
وعلى وجهه أسرَّة إخلاص تفي بالحنان والإشفاق
يا إماماً تجسمت فيه روح الحب والائتلاف والميثاق
بعثَ الله رحمةً علمك الصافي ودوَّى صداه في الآفاق
ليس حظ الشآم والمجمع العلمي منه خلاف حظ العراق
جارتان اشتكاهما الثبت الحر مسالَ بدمعه الرقراق

ما على زعفرانة البؤس لو عافت ... ـماحـا مفـاتح الاسـواق

مـلأ الرعـب كـل لـب صـحيح ... فهـو بـين الـذهول والإقـلاق

خـافق الجـانحين ينظـر للواشين ... شـذراً مخافـة الإخفـاق

لا تظـن الوشـاة أنـك ميـتٌ ... أنـت حـيٌ بعلمـك الجـم بـاقي

قـدر الخلـد رزق مثلـك يـا رزق ... الأمـاني مقـدر الأرزاق

إن يـكُ اليُـتم حـزَّ صدر الأغاريد ... وعفّـى سـلامة الأنواق

فالهنـاء المديـد في المـلأ الأعلـى ... أهـازيج زورَة وتلاقـي

خـلٌ أكبادنـا يُفطرهـا اليـأس ... ورنَـق علالـة الأشـواق

وتمتـع برونـق الخلـد واللـذة ... بالاصـطباح والاغتبـاق

في رفـاق كـأنجم الليـل حـول ... القمـر المسـتنير بالاتسـاق

وتلطّـف وطُـل مـن شـرف الخلـد ... علـى الأمـتين قـدر فـواق

فـترى شـاعراً يحـثُّ الجمـاهير ... بألحانـه إلى الاتفـاق

وطبيبـاً يجـسُّ نـبض الأنابيـب ... ويجلـو صـدا الشـفار الرقـاق

وخطيبـاً يهـزُّ أرجوحـة المنـبر ... هـزَّ الأفنـان للاصـطفاق

وتـرى غـيظ حاسـديك جفـاءً ... ونـدوباً علـى شـفا الأشـداق

ثمـراتٌ عصـيرها الحـب جـلاك ... وردُ الفـروع للأعـراق

وتملّـى رحيقهـا العـذب صـرفاً ... كـل مـن كـان يجتـزي باللعـاق

فسـلامٌ عليـك علامـة الشـعب ... ومغـزى مكـارم الأخـلاق

وسـلامٌ علـى محاسـنك الغـر ... تباعـاً كالديمـة المغـداق

رثاء الشيخ كامل الخطيب رحمه الله للمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي رحمه الله :

بـينَ بـيض المنـى وسمـر العـوادي | أي حـــربٍ تثـــور بالأحقـــاد
لوَّنت صفحة الحيـاة فوَجـه الـدهر | منهـــا أعجوبـــة النُّقـــاد
تلـك حرباؤهـا أم الشاشـة البيضـاء | معروضـــة علـــى الأشـــهاد
يغمـر النـور ظلـها لمحـة الطـرف | ويرتـــد عنــــه قبــــل ارتــــداد
كسـطور تخطهـا أنمـل الـوهم | علـى خـاطر الصـبا المتهـادي
أمـلٌ ناصـع البيـاض كمـا شـاء | ويـأسٌ مُحلولـك بالسـواد
جولـةٌ ثـم صـولة وتـرى الصـقر | لقـىً في حبائـل الصـياد
عثـرت بـالمنون قادمـة النسـر | وكانـــت عليـــه بالمرصـــاد
بعـد لأيٍ مـن الزمـان مشـى الـدهر | إلى مبتغـــاه ســـهل القيـــاد
يـا دراري الأثـير رفي مجاليـه | وصـبي ذكـراه في الأوراد
وانثـري عقـدك النظـيم رثـاءً | هازئـاً بـالقريض والإنشـاد
إنمـا نثـرك السـماوي لفـظ | هـو معنـىً لـه وأقصـى مـراد
لـيس مـن يهـبط المجـرة ريَّـان | كمـن يصـعد المجـرة صـادي
والظبـى في النفـوس أعظـم فقـداً | مـن حلـي السـيوف والأغمـاد
يا حماة الذمار أيـن النجـوم الزهـر | أيـن الشـموس في الأرآد
مـا كتبـتم في ذمـة الله والتـاريخ | سـطرٌ علـى جـبين الـبلاد

يقــرأ الليــل والنهــار حواشــيه ... صـــــلاة قدســـــية الأوراد
أغفــلَ الــدهر كــل صــفحة مجــد ... وطــوى غــير صــفحة مــن جهــاد
صقلتها اليـد الـتي صـاغت الخلـد ... لهــــا والفنــــاء للآبــــاد
وبــرَت صـــالحاً عميــد المجلّــين ... نـــواة الجهـــاد يـــوم الجـــلاد
أول الذائـــدين في عهـــده الوضّـــاء ... عـــن مجـــد يعـــرب وإيـــاد
قبســاً في مجاهــل الظلمــة العميــاء ... يهـــدي إلى ســـبيل الرشـــاد
وفرنــداً يفــلُّ مــن عزمــة الطغيــان ... والغـــــاشمين والــــــرُّواد
مـــن رآه إبـــان ثورتـــه البكـــر ... خميســـاً في واحـــد الأعـــداد
ضــيغماً في عبــاءة الناســك الزاهــد ... طـــوداً علـــى ذرا الأطـــواد
يمطــر الظلــم وابــلاً مــن رصــاص ... مثلمــا تمطــر الريــاض الغــوادي
صـــرفاناً يمجـــه الغـــيظ حَـــران ... لظـــىً في النفـــوس والأجســـاد
مــن رأى في الملاحــم الحمــر ليثــاً ... عربيــاً يشــوي قلــوب الأعــادي
نــأمَ الليــث يــوم وقعــة فتــوح ... فـــدوّى صـــداه في كـــل واد
ورمـــى العســـكر اللـــهام بعـــزم ... علـــوي يشـــق قلـــب الجمـــاد
في رفــاق كشــعلة النــار في الهيجــاء ... يـــذكو لهيبهـــا باتقـــاد
غائصــات تحــوك أنســجة الغــدر ... وتســـعى بأرجـــلٍ وأيـــاد
فـــدعاه لقـــىً كأعجـــاز نخـــل ... خاويــات علــى الربــى والوهــاد
وإذا رجّــع الصــدى الأجــرد الثاكــل ... فالغيـــل مـــربض الآســـاد
يا بن عبد الحميد طاولتَ يـا أجـرد ... بـــيض الظبـــى وسمـــر الصـــعاد

بشهيدٍ لا يعرف العهد أوفى   منه عهدا ولا بطيب التفادي

ما روت ميسلون عنك أحاديثك   إلا صحيحة الإسناد

وإنا وزور استفاق على الصوت   لحادٍ شاقته نغمة حادي

أو تراءت جهنم يوم واديها   لمكراً حاقت بأهل الفساد

حسب الغر أن سيد الحرب   وغرّته كثرة الأجناد

فتباهى وأين تيه طواويس   ثمود وعنجهية عاد

وتمادى حتى بدت جمرة الحرب   فسدّت عليه طرق التمادي

وبدا الصالح العلي شهاباً   من إباءٍ وشعلة من سداد

وإنا كبرياء كل مريد   يتحداه حفنة من رماد

لفتة يا أبا الجهاد إلى الماضي   وعفواً عن زلة الحساد

إنما الرأس في الهياكل محسود   وبعض البيان في الأضداد

ولهاة الحسود جفّت فلا ترطب   إلا بالدمع لا بالمداد

عصَرتها الحقود إلا ثمالات   دمٍ شفاهَ العوادي

أيها الراحل المودع مهلاً   ما مللنا الهوى على الترداد

أنت طيف الكرى ونحن جفون   لا تمل الجفون طيب الرقاد

ما وفت عهدك الأمانات إن لم   تك سلك العقود في الأجياد

نكراً في النجود عند الذرا الشم   نسيماً في غصنها المياد

عبقاً في النسيم في الساحل الطلق   حياً في فؤاده الوقّاد

نغماً في غماغم الأبيض الزخار   بين الإرغاء والإزباد

طيّب الله نشر طيبك يا طيب الغوادي روائحا وغوادي
وسقى الذروة المنيفة من رباك منهلّة كصوب العهاد
وعليك السلام حياً وميتاً يا ربيعاً مضى بلا ميعاد

قال الشيخ كامل الخطيب رحمه الله يرثي أستاذه قاضي قضاة الشرع الشريف الشيخ عبد اللطيف سعود رحمه الله:

ألِفتُ ذكركَ في نومي وفي سهدي فما سلوتك في قربي وفي بعدِ
هذي مآثرك الحسنى تطوف معي أنّى حللت وأنّى طفت في خلدي
فضائلٌ كاللآلي طوّقت عنقي فما شكلت بنظم الدر والنضد
في كل لؤلؤةٍ منها منار هدى وشعّة من ضياء الحق والرشد
إن قلت أتحفني عبد اللطيف بها قالت ولاية آل البيت هاك يدي
كنزٌ هو الجوهر الفرد الذي نكصت عنه الكنوز كنوز الدهر في بدد
الحبُّ والبغض في الله القدير لنا أفرغت صرفها في الروح والجسد
علّمتنا كيف نعلي في مجالسنا صريحة الحق عن ميلٍ وعن أود
سلكت نهج الإمام الحق مطّرحاً ما دونه من تعاريج ومن جدد
وصنت قولة أقضاكم بما جمعت عن الإضاعة والتقريظ والفند
يا راحلاً والقضاء السمح يندبه نزّهت نفسك عن ظلم وعن حسد
خدمتَ في بيته الشرع الشريف كما أخرستَ في ظله نفاثة العقد

لمـا تسـنَّمتَ كرسـيَّ القضـا عمِيَـت نظـارة العمـش الخـداع والرمـد
فمـا نصـرتَ بحكـمٍ جـائر أحـداً ولا عطفـت بمحكـوم علـى أحـد
ميـزان قسطٍ لـو أن العمـر طـال بـه - وأنكبه العدل - في الـدنيا إلى أمد
وكـم تجـرأتَ فاقتـدتَ العزيـز إلى ذل الخضـوع ولم يخـتر ولم يُـرد
عِفـتَ السياسـة حتـى لا مجاملـة ولا مصـافقةً فيهـا يـداً بيـد
كأنهـا الميسِـر المفـروء (فـاجتنبوا) وخلقك الطـاهر الإسلام في العـدد
صـفاتك الخـير جـلَّ الله خالقهـا من هالة الخير لم تـنقص ولم تـزد
أوصيتَ (مَن يرثني يصدق) ولو صدقت خواطر الشعر جاءت بالثنا الأبدي
لا يخـدع الشـعر بالأوهـام صـاحبه أن يخـش مـن لائـمٍ فيـه ومنتقـد
ولا يملـه لـنظم الترهـات هـوى في لجة البحر ما يغـني عـن الزبـد
وفي الكرامـة مـن عبـد اللطيـف غنـىً عـن الدعايـة والتطـواف في البلـد
فتـىً لـه مـن صـفات الفضـل أصـدقها فليخسأ الكـذب لا يبـدي ولا يُعـد
في كـل مضـمارٍ معـروفٍ لـه سـبقٌ وعـن هدايـة أهـل الخـير لم يحـد
والهفتـاه علـى مسـتنهض هممـي ومسـتفز إلى كسـب العلـى جلـدي
جـرى بخـاطره ذكـري وقـد عرضـت لـه خـواطر أمـس ذاهـب وغـد
مـع الحسـين أطـال الله مدَّتـه هـذا أخـي حـين أدعـوه ونا ولـدي
يـا قولـةً أخـذت في الـنفس مأخـذها وأفرغت مـن حمياهـا علـى كبـدي
إن نلـت مرضـاة أسـتاذي فقـد رضِيَت عني الحياة حيـاة الخمـر والشـهد
كـم نا أكـتم الآمـي وأسـترها والوجد ينشر مـن أبرادهـا الجـدد

لــولا علالــة نفــس بــتّ ارقبهــا جديرة بحسين نبت من كمدي

وبـالحبيبين إبـراهيم تعزيـة القلـب الحـــزين وإبــراهيم كالعضـــد

بـــآل ســـعود تُستســـقى الـبلاد إذا ضنّ الغمام وجفّ الماء في العد

توارثوا المجد عن عبد اللطيف وعن آبائــه الأكــرمين السـادة النجـد

سـقاهم الله مـن غيـث الرضـا نهـلاً وجـادهم بهنـاء العفـو والرغـد

رثــاء الشـيخ كامـل الخطيـب رحمه الله للشـيخ صـالح ناصـر الحكيم رحمه الله :

رقرقـي الـدمع يـا شـؤون ونوبـي أذنَـت شمـس فجرنـا بـالغروب

بُــدِّلَ النــور والضــياء ظلامــا أتُرانـــا بمشـــهدٍ أم مغيـــب

عوِّضــيناه يابنـــة الفجــر نــوراً نهتديـــه إن أُبـــتِ أو لا تـــؤوبي

واسمحـي للصـباح ينشـر أسـلاكَ عـــزاءٍ علـــى الربـــى والكثيـــب

ودعيـــه يمـــجُّ مـــن كـــوة الآمـــال أنـــوارَ ضـــوئهِ المحبـــوبِ

وابعثي في سرادق الليـل مـا ينضـي حجــاب الظــلام عــن محجــوبِ

نحـــن ســـفرٌ وهـــذه ظلمـــات حيـلَ مــا بيننــا وبــين الغيــوبِ

كلمــا لاح بــارق النــور منشــودا طوتـــهُ ولا كطـــي الخطـــوبِ

عبثت بـالمنى العـوادي فيـا بؤسـى ويـــا شـــقوة الفـــؤاد الســـليب

هــذه حفلــة الحكــيم وبــالأمس شـــهدناه في مقـــام الخطيـــب

يتحف الزائرين بالنصح بالانـذار	بالواجبـــــات بالتأديـــــب
في سبيل الرشـاد مـا فعـل الشيخ	ومـــا قـــال في الصـــبا والمشـــيب
أنفـت نفســه لغـير عـلا الـرب	تعـــالى استـــكانة المرهـــوب
فلـــذا كـــان ســـخطها ورضـــاها	فيـــه لم تخـــشَ أيهمـــا تثريـــب
آثـرَت في جـواره الخلـد والنعمـى	فطـــيبي يـــا جـــارة الله طـــيبي
وامرحي في الجنـان مـا بـين حـور	غانيـــات بالطيـــب عـــن تطييـــب
رائعات الجمال يخطـرن والولـدان	في روضـــــها الفســـــيح الرحيـــــب
تائهات الأعطاف يهتفن بالبشـرى	ويطـــــربن للقـــــاء القريـــــب
إيـه يـا مـوت كـم صـرعت حكيمـاً	وتحكَّمـــت باللبيـــب الأريـــب
حـلَّ داء الـردى فحـال وقـد أعيـاه	بـــين الطبيـــب والتطبيـــب
مـا قضـى الصـالح الحكـيم إلى أن	قضـت الصـالحات حـق الوجـوب
لم يطُـل ليلـه بمحبيـه ذكـراً	وبأوَّاهـــه الحلـــيم المنيـــب
فـوق مـا طـال يومـه بـدُعاه	الجمـوع للإئـتلاف والتهـذيب
يا منـار الهـدى وقـد ضـمك اللحـد	كمـــن ضـــمَّ في زوايـــا الحقـــوب
لمن اخترت مهنة الهَدي والإيماض	نبغيـــه مـــن خـــلال الثقـــوب
قـم فـأول الوفوفـود خـير عظـات	عنـد ذا الموقـف الجليـل الرهيـب
مـا عهـدناك بـالبطيء عـن الوفـد	إذا حـــــلَّ لا ولا بـــــالقطوب
ليت شعري ما بال سلسلك الرقراق	مـــا بالـــه هفـــا للنضـــوب
هـــذه الأمـــة الكئيبـــة تجثـــو	حـول مثـواك للبكـا والنحيـب

جسّمت فيه هيكل النجد الأسلاف فاستحقرت رثاء الأديب

وبكت من دم المهج الحرّى دموعاً لا من دمٍ مكذوب

تندب الراحلين أعلامها البيض وتشكو ظلام يوم عصيب

كنت فيهم يا شيعة الحق تزرين على شرّة الزمان الرهيب

وبيض الأيام يا أم تسطين على كل حالك غربيب

زوّديهم مع الثناء سلاماً وسليهم عن اختلاف الدروب

وخذي عن خشيت منك ضلالاً بهداهم واستغفريهم وتوبي

وبأبناء صالح أمّلي الفوز فللأصل عودُ كل قضيب

عترة الناصر الحكيم أصابوا خير إرث منه وأوفى نصيب

سلكوا نهجه وإثر خطاه فرأوه مُعبَّد الأسلوب

أنا صبّ بهم وليٌّ أبيهم خلِّ لومي وعَدِّ عن تأنيبي

لا أبالي وقد ذخرت موالي آل طه بجلجلات ذنوبي

قال الشيخ كامل الخطيب رحمه الله معزياً الشيخ كامل صالح معروف رحمه الله بوفاة زوجته ابنة علامة الجيل الإمام الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله الشاعرة فاطمة الملقبة بـ(فتاة غسان)

كفكِفْ دموعكَ يا أبا الأشبالِ فلأنتَ أولى مَن يمرُّ ببالي

حباً وإخلاصاً وتعزيةً إذا هبّت خواطرُ عاصفِ البلبالِ

ولأننا شركاء في السرّاءِ والضرّاءِ والأهــــواء والأهــــوال
منذ العهود مع الجدود وراثة الآبـــاء والأعمـــام والأخـــوال
يا كامل المعروف يا ابن الصالحِ الأعمـــال والأفعـــال والأقـــوال
فإليكَ تعـــزيتي بـــأم محمـــدٍ بنـــت الإمـــام كريمـــةِ الأوصـــال
أم السكينة والفضيلةِ والنُّهـــى والـــرأي والـــذوق الرفيـــع العـــالي
رحـــمَ الإلـــهُ صـــفاءها ووفاءهـــا وولاءهـــا لمحمـــدٍ والآل
درَجت على الحب النقي وأوصلَت حبـــلَ المـــودةِ أيمـــا إيصـــال
ومضَت على دربِ الإمام فعرَّجت عمـــا يمـــتُّ إلى عـــرا الإشـــكال
سلَكت دروبَ الصادقين وأُشربَتْ مـــاءَ الهـــدى مـــن نبعـــةِ السلســـال
وقضت وحبُّ الخير أقصى همها وبـــالقولِ والأفعـــال والأعمـــال
الله يرحمهـــا ويفـــرش دربهـــا مـــن فيءِ نخلـــة مـــريم بظـــلال
ويقيكَ بالصبر الجميل من الأسى ويحـــطُّ عنـــكَ كـــوارث الأثقـــال
لترى الغُروسَ بخير ما ترجو لهم مـــن نعمـــةٍ وكرامـــةٍ ومـــآل
وتـــرى محمـــد كـــاملاً بصـــلاحهِ في حـــزم معـــروفٍ وعـــزم كمـــال
وهـــدى سليمان الحكـــيم وصـــالحٍ رمـــز الصـــلاح وحكمـــة الأجيـــال
والله يـــوليكم ثوابـــاً حـــافلاً بـــالعز والإكـــرام والإقبـــال
ولكم من الصبِّ الخطيبِ تحيـةً معطـــارة الغـــدواتِ والآصـــال
ولعـــذرهِ يرجـــو القبـــولَ فإنـــهُ ألقـــاهُ بـــين الحِـــلّ والترحـــال
والعجـــزُ أقعـــدَهُ فـــأخلفَ وعـــدَهُ ولـــو استطاعَ أجـــابَ صـــوتَ بـــلال

ولقالَ خاطرنا العشية عندكم | لسيادة الحبر الحكيم الغالي
لأخ الفتاة "فتاة غسان" التي | بالشعر كانت مضرب الأمثال
أخت الفتى البدوي شاعر جيلهِ | رب القوافي نجمها المتلالي
بنت الإمام الملهَم الثُّبت الذي | جلّى بعلم العقل والعُقّال
قومٌ رنَتْ عين الزمان فأكبَرَت | حسن السماتِ بخدّهم والخال
والكرمة النشوى مشبَّهة أتت | لعذوبة الألفاظ بالجريال
يا آل معروف وبدر أنتمُ | كهف العفاة ومهبط الأبدال
سعياً وراء المجد سعياً لا كمن | يستبدلون الخال بالخلخال
صلى الإله على محاسن عهدكم | بموائد الأعراف والأنفال
وحباكم المجد الأثيل وخصكم | بالنصر رغم كثافة العُذّال

من رثاء الشيخ كامل الخطيب قدس سره للشيخ عبد الهادي حيدر قدس سره:

أين عبد الهادي وأين فؤادي | غاب عني وسلَّ مني رقادي
غاب عني رفيق دربي وأحلامي | وأيام شدتي واجتهادي
غاب عني إلى متى؟ وإلى حشر | البرايا الأخير يوم التنادي
غاب عني أخو الأمانات والإصلا | ح والرأي والهدى والجهاد
يا صفيي وأين مني صفيي | ووفيي متى ينادي المنادي

يا أميني ويا معيني على الضراء | في كل محنةٍ لبلادي
لست أنسى زيارةً كنت فيها | صاحب الرأي والهوى المراد
مع "حسين" و"كامل صالح" | المعروف يوم الوغى ويوم الجلاد
يوم زرنا "عبد اللطيف بن | إبراهيم عبد اللطيف صافي الوداد
واعتمدنا زيارة الشيخ "إبراهيم" | نجل الحكيم أي اعتماد
ورضينا بحكمة الشيخ واعتضنا | عن الترهات بالإيراد
فروى ما روى وقال وقلنا | وتلا ما تلا على الأشهاد
كل شيء يزول والعمل الصالح | يبقى وما لَه من نفاد
وبقاء الوجود أبقى من البقيا | بقاءُ والوجود والإيجاد
وعزاء يا آل حيدر حمدان | بشيخ البلاد "عبد الهادي"
وجزيتم خير المثوبات من | أبناء عم وأخوةٍ أمجاد
وفروع مسلسلات عن الأهل | ومن جيرة ومن أولاد
رحمة الله والسلام عليه | وعليكم يا أهل هذا الوادي
وعلى السادة المعزين والأحرار | من فتية ومن قواد
وصلاة على نبي الهدى الداعي | لسبل الرشاد والإرشاد
ما بدت غُرة الصباح ولاحت | هالة الشمس بالسنا الوقاد

من رثائه للشيخ إبراهيم سمود رحمه الله:

أحبَّـة قلـبي يـا حمـاة المسـاجد ... مسـاجد شـعب المرتضـى والمعاهـد
أئمـة هـذا العصـر مشـكاة نـوره ... مصـابيحه مـن كـل نـدبٍ وماجـد
علـيكم سـلام الله بالمسـك بالشـذى ... يطـوف علـيكم واحـداً بعـد واحـد
أعـزيكم بالطيـب الـذكر صـاحبي ... وصـاحبكم حمّـال عـبء الشـدائد
أخـي وأخـيكم في المسـاخط والرضـا ... وفي قطـف أثمـار المنـى والفوائـد
أبـي هاشـم رب الفضـائل والنـدى ... نقـي الهـوى والمنتمـى والمقاصـد
أبي يوسف مُقري الضيوف ومُشبع ... الغـراث ومـروي كـل صـادٍ ووارد
أخـي القلـم السـيال والمقـول الـذي ... له الفضل إن عـدَّت جيـاد القصـائد
ربيـب أبـي التـاريخ تلميـذ نهجـه ... نـديم حميَّـاه نقـي المـوارد
شـديد بـذات الله فـارس بهمـة ... إذا انتُـدبت لله كـف المجاهـد
صـفي وفي لـوذعي مهـذب ... خـبيرٌ بتطبيـع العلـى والمحامـد
قضى ومضى والحمـد والـذكر عنـده ... جـديران بالبُقيـا وصـدق المواعـد
فقيـداً حميـداً عظـم الله أجـركم ... بـه وجـزاكم أجـر لهفـان فاقـد
وعوَّضـكم عنـه جـزاءً بمثلـه ... يكـون قـذاةً في عيـون الحواسـد

مـــن رثائـــه للشـــيخ يـــونس حمـــدان ال عبـــاس سلمان قدّس سره/الطواحين/ :

يـا طالـب الـدين والـدنيا وخيرهمـا وخير ما فيهما مـن غـامضٍ وجلـي
كـن كـابن حمـدان في علـمٍ وفي عمـلٍ وفي صــلاحٍ وفي عـــلٍّ وفي نهـــل
واشرب من المشرب العذب الزلال على غـرار مشـربه تسـلم مـن الزلـل
واســلك مســالكه وانهــج مناهجــه ووالِ في الله – جـلَّ الله – كـل ولـي
تفُــز بمــا فــاز مــن علـم ومعرفـةٍ مأمونة الشك في التفصيل والجمـل
شيخ قضـى السـبع والتسـعين معتكفـاً بـين المكاتـب والمحـراب لم يـزل
مُنقِّبـــاً عارفـــاً بحاَّثـــة فطنـــاً فهَّامــة مــن بقايــا السـادة الأول
يـا بــن الميـامين والغـر الكـرام علـى سُـفوح بيصـين أو في ذروة الجبـل
أعـــلام مشـــرفة العليـــاء يقـــدمهم سلمان والغرس عباس هدى السبل
أئمـــةٌ وهـــداة لا يقـــاس بهـــم إلا الأقــل وكــانوا مضــرب المثــل
مــن كــل منتجــب للفضــل منتخــب للجـود مُنتـدبٌ كالعـارض الهطـل
يــا يونســاً وجميــل الــذكر يؤنســه إذا تنقّـــل في حِـــلٍ ومرتحـــل
مـــن فلســـفاتٍ إلى علـــم إلى أدبٍ إلى جهــادٍ بحبــل الله متصـــل
بصالح الثـورة الكـبرى الـتي عجـزت عــن مثــل آرائــه نقّــادة الــدول
أبـــا علـــي إذا حُمِّلـــت مألكـــةً تقضي بتأدية الـذكرى علـى عجـل
ومثلـــك الحـــر مـــن أدى رســـالته بــلا وســاطة نجــاب ولا كســل
نجـاك في ظلمـات الشـك مـن خطـأ مُجير ذي النون من غمٍ ومـن خطـل

بلـغ رفاقـك في الـدارين مـا نفثـت ... تلـك الأراقـم مـن أنيابهـا العصـل
واهنـأ بمـا نلـت مـن خـيرٍ ومـن كـرمٍ ... عنـد المهـيمن وابلـغ غايـة الأمـل
يـا آل عبـاس سـلمان لقـد ثبتـت ... فـيكم كرامـة سـلمان مـع الأصـل
وطـاب سـعيكم المشـكور فاحتسـبوا ... عنـد المهـيمن أجـراً غـير منبتـل
عـزاكم الله بالصـبر الجميـل ولا ... زلـتم بعـيشٍ علـى الأيـام مقتبـل
وصـبَّ رحمتـه في أرضـكم غـدقاً ... ملء الفضاء وملء السهل والجبـل
حتـى تكونـوا لنـا مـن بعـده أمـلاً ... مـلء المحافـل والأسمـاع والمقـل

من رثائه للشيخ حيدر محمد حيدر رحمه الله /بيت ياشوط/:

ذكرتـك يـا حيـدر الحيـدر ... فبُحـتُ بسـري ولم أضـمرِ
وقلـت رفـيقين عُمـرَ الحيـاة ... صـديقين كالمـاء والسـكر
يفـارقُ كـلٌّ أخـاه بـلا ... مواعيـد غُيَّـب أو حُضـر
وبـالريح والـرَّوح روح الجنـان ... وريحـة ريحانهـا الأخضـر
وبالطيـب مـن عبقـات النسـيم ... وأنـت علـى قمـة المنـبر
تفـذلكها نمنمـات الخطـاب ... وتـأتي علـى النيّـر الأنـور
وتخـتم مسـك الختـام علـى ... ختامـات مسـكتها الأذفـر
وأنـت فصـيحٌ ملـيء الخطـاب ... ومثلـك إن قـال لم يعثـر
عفـا الله عـن روحـك المسـتقاة ... مـن الجـوهر الطيـب العنصـر

ومن نفحات الحنان الشفيع ... ومن خطرات النسيم السري

على ذكر أيامنا السالفات ... الأطاول منهن والأقصر

ويا رحمة الله بثي شذى ... أزاهير فلك أو عبهري

وصُبي غواديك العاطرات ... وقولي عفا الله عن حيدر

رفيق الحياة أمين الهداة ... على سرها المستطاب الطري

وقولي مع الله يا ابن الكرام ... وشيخ الجهاد الغني الثري

سقاك المهيمن من خلده ... ورواك من مائه الكوثر

وعزى بني حيدر بالثواب ... وبالصبر عن فقدك الأكبر

فما كل ماء يروي الظماء ... ولا زحل هو كالمشتري

رفيق الحياة عليك السلام ... من الله كالعارض المطر

على يومك الأريحي الندي ... على ليلك الساهر المقمر

على كل ما تخطر الذكريات ... من الشرح والذكر في محضر

حضرتَ قليلاً وفارقتنا ... وغبتَ كثيراً ولم تحضر

وقالوا توفى وما حيلتي ... وكنت عجزتُ فلم أقدر

إلى الله أشكو صروف الزمان ... وخسر البضاعة والمتجر

وأشكو فراق الصفي الودود ... إلى من يموت ولم يقبر

وأشكو الحياة إلى أن أموت ... وما زلت أشكو ولم أعذر

سلامٌ على طول هذي الحياة مع ... الليل واليوم والأشهر

بكفك يا رب مقياسها أطلْ ... إن تشا أو تشا أقصر

فما هي موهوبة في الأنام إلى تبع أو إلى حمير
ولا هي مملوكة دائماً لكسرى الزمان ولا قيصر
سلام عليكم وألف السلام على طيبي الذكر والمعشر
عليك على عبد هادي الرفاق تمر بذكرى أبي منذر
عفا الله عنكم وأولاكم رضاه كما شاء وليغفر

المدائح:

قال يمدح والده الكريم العلامة الشيخ يوسف الخطيب ﷺ:

جزى الله أهل العلم خيراً ومِنةً ... وأيدَ أقوال الثقات وشيدا

وأولاهم علماً وحلماً وخبرةً ... وزادهم قدراً وفضلاً وسؤددا

هم أوضحوا سبلَ الرشاد وعبَّدوا ... وهم حفظوا الإسلام من أن يبددا

ورثُّوا على أعقابها كل بدعة ... على البعد غزُّتها مكايدَة العدا

كمثل الخطيب الطيب الذكر والشذا ... كريم السجايا ذي السماحة والندا

وإخوانه أهل الحقيقة مَن رقوا ... إلى قمة العلياء مَثنى ومَوحدا

ومَن جاهدوا حق الجهاد بأمةٍ ... تولت علياً ذخرها ومحمدا

تقدمهُ عصراً حسين بن أحمد ... ومِن بعده جلَّى سليمان أحمدا

ثلاثة أقطاب رعى اللهِ عهدهم ... وأنجزهم وعداً وعهداً ومعهدا

وأتحفني عبد اللطيف بنهلةٍ ... من الحب تستدعي النعيم المؤبدا

تملَّيتها وارتاح قلبي لشربها ... طويلاً فأولتني الحياة على المدى

جزى الله عنا فضلهم خير ما جزى ... وأصفاهم في الخلد عيشاً وأرغدا

وحسبي أني غرس نعمة فضلهم ... وإحسانهم قولاً ورأياً ومحتدا

عليهم سلام الله ما ذر شارق ... وما رجَّع السجع الحمام وغردا

وما حملت ذكراهم عبق الشذا ... إلى الكون ترويها حديثاً مرددا

قال الشيخ كامل الخطيب رحمه الله يمدح المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي رحمه الله:

بهـــواك أم بســـلافة الأقـــداح ســـكرَ النـــديُّ بعطـــره الفـــواح

وســناكَ أم بنــت الصــباح يُعيــدها وضَــاءة البســمات كــل صــباح

ذِكَــرٌ تمــرُّ مــع النســيم كأنهــا نفــسُ الحيــا وتنهــدات الــراح

عربيـــةُ النفحـــات في نفثاتهـــا لُغـــزُ الغـــزاة وآيـــة الشُّـــراح

يــا طيبهــا هــي كالشــموس شمــائلاً ســكرَ الزمان بها وأنت الصـاحي

مــا دار في خلَــد الزمــان فناؤهــا قفــل البقــاء أهــاب بالمفتــاح

دنيــا الجهــاد ومــا أعــز تطلعــاً بســـناه للتـــاريخ والألـــواح

عِبَــرُ الزمــان قديمــه وحديثــه كُتبت على وجه الزمـان المـاحي

لا الــدهر يخلقهــا ولا هــي تنقضــي خلــدَت خلــود الــدهر والأرواح

والصــالح بــن علــي بيــت قصيدها نســقاً أتــى لزيــادة الإيضــاح

بطــلٌ تفــرَّغ للجهــاد فمــا ثنــت منــه القــوارع إصــبعاً في الــراح

وإذا العروبة في الســحاب بــدت لــه جلَّــى وطــار لهــا بغــير جنــاح

ســلْ عنــه أبطــال الفرنجــة إذ أتــوا وتقابــل الخصــمان وســط الســاح

فمشوا على اسم حديدهم ورصاصهم ومشى على اسم الواحـد الفتـاح

ومشـــوا بـــدرًاعاتهم وســـلاحهم ومشــى بإيمــان بغــير ســلاح

سل عنه فتوحا وورور هل روت ذي قار ما رَوَتاه من إصحاح
أو سل جهنم يوم واديها وسل من أجرد وفؤاده الملتاح
تلك الملاحم لو يمرُّ حديثها بالحادثات هوت على الصحصاح
مَن راءَ وقفة صالح فيها رأى رئبال ملحمةٍ وليث كفاح
حنَقَ الأبي على كرامة أمةٍ ولتضجع الأرواح بالأشباح
لا زخرف الدنيا ثناه ولا هوى الألقاب يوم كريهةٍ وسماح
بطل العروبة يا شمائل حيدر ورُؤاك فوق جبينه الوضاح
هذي شذاك تموج في نفحاته وسلافة الأقداح بالأقداح
يا بن المعز ومصر من حسناته والأزهر الداعي إلى الإصلاح
هذا سبيلك إن ظفرت بروحه يختال بين خمائلٍ وأقاحي
فانقل إليه حديث مصر مفصحاً عنه ومَن لسواك بالإفصاح
واندب فلسطين الشهيدة إنها صرعى أكفٍ بالحقوق سماح
وطنٌ به عبث الدخيل وروَّعت فيه الأوامن مُدية الذبَّاح
خلتِ السفينة فيه من رُبانها وتنكَّر الساري على الملاح
فعسى يفيض عليه من عرفانه رشحاً يعيد الماء للأرواح
ما بال وحدة يعرب لا تنتضي عزماتها فتفلُّ عزم اللاحي
وتلوث مئزر حبها وإخائها لا فرق بين الشاه والفلاح
م عتبَ الوليد إذا الهنات بدت من الأم الرؤوم لطفلها الملحاح
م لحياة عهد السابقين فإنه وقفٌ على الأفراح والأتراح

يا صالح الأعمال حسبك أن ترى   السعي الحثيث مكللا بنجاح

وترى معالم يعرب مزدانة   بروى وجوهٍ كالصباح صباح

في معهد تركت يداك عليه من   نور الإرادة كالنهار الضاحي

فابعث ثناك اليعربي وطلٌ من   شُرُف الخلود عليه كالمصباح

وانفَحهُ من روح الجهاد تحية   علوية النفحات والأرواح

وعليك يا مسك الختام سلامه   في كل غدوة نفحةٍ ورَواح

المراسلات

وهي مجموعة من القصائد تبادلها الشيخ كامل الخطيب رحمه الله مع إخوانه:

قال الشيخ كامل الخطيب رحمه الله يمدح السادة: الشيخ حسين سعود رحمه الله، والشيخ عبد الهادي حيدر رحمه الله، والشيخ كامل صالح معروف رحمه الله، والشيخ إبراهيم سعود رحمه الله:

بتُّ أشكو من البعاد وباتوا	يتشاكون والهوى نزعات
أنا منهم صبابةً وغراماً	وهياماً لكنهم سادات
وأنا البائس الضعيف إذا جلوا	توانت بهمتي العزمات
من هم؟ هم أحبتي ورفاقي	وثقاتي إن أعوزتني الثقات
منهم السيد الكريم حسين	علَم مفرد الصفات وذات
شرفٌ باذخٌ ومجدٌ قُدام	وبهاء مجسم وسمات
يتحلى بالعلم والفضل والإيمان	إذ تزدهي به المكرمات
واللبيب الأريب ذو الطالع الميمون	عبد الهادي الفتى الصلات
حيدري النجار من آل حمدان	كتاب مترجم ورواة
ويراعٌ يخطُّ بالعلم والتوحيد	ما أنبأت به البينات

وآمين الكتاب في العصر إبراهيم ... من أذعنت له المشكلات

وتولى الجهاد حتى المحبون ... أقروا بفضله والعداة

خُلق طاهر وحبٌ وإخلاص ... وصدق وعفة وأناة

يتبارون بالنصوص كما تهوي ... إلى صيدها الشهي بزاة

خان عهدي الخطيب قال حسين ... وحسين تزجي إليه الشكاة

وعلى هامش القوافي يزجيه ... عتاباً ترنو له اللافتات

وأنا الصادق الوفي إذا خاست ... وخانت نبالة ورماة

فإذا الشعر قال أعذبه عني ... حديثاً تناقلته الرواة

فلقد شذَّ بعضه وترامت ... عابثات ببعضه الفلوات

ورمى حجرتي بصخرة غيري ... داعيان السكون والحركات

وسل المنصفين ذا العمة البيضاء ... عبد الهادي فلا يفتات

وأبا هاشم المضيف إذا غصت ... بأضياف بيته الندوات

لا يقولان غير ما يأمر الحق ... ويرضي الهوى ويأبى الشتات

سامح الله صاحباً عرفته ... منذ عهد الطفولة الذكريات

منذ عهد الطفولة إذ تلهو ... وتنداح بيننا اللعبات

والوفاء البريء ينمو بقلبينا ... ويزكو على السقاء النبات

حفظ الله عهدنا ورعاه ... كم رعاه الآباء والأمهات

أنا في ذمة المودة والتاريخ ... لم تقتحمه الغزاة

وخصم يحار في لجه الواشون ... والعاذلون والعاذلات

يـا رفـاق الطريـق في الحـر والقـر حيـث الـردى وحيـث النجـاة

سـاعدوا بعضـكم على الـدهر بعضاً إنمـا الظـالمون قـوم عتـاة

واسـتعينوا بالصـبر مهمـا دهيـتم إنمـا الصـبر عـدة والصـلاة

واقتـدوا بالأئمـة الطهـر فـالأعلام مـنكم أئمـة أثبـات

مثـلٌ جـاء مثلمـا مثّـلَ النـور لـدينا المصـباح والمشـكاة

لا رعـى الله عهـد ظلـم الخفـافيش ولا دنـدنت بـه البركـات

وجفاك الحياء يا عهـد ذي اللحـيين ممـن أحيـوا أذاك ومـاتوا

نصـبت للعبـادة الـلات والعـزى عنـاداً فيمـا مضـى ومنـاة

وتـولى عـرش الخلافـة عربيـد وأجـلاف أمـة وجفـاة

واسـتطال الـدجى وكانـت هنـات واسـتفاض القـذى وكانـت هنـات

نـار حـرب وفتنـة للتجـازي يصـطليها الأحيـاء والأمـوات

جولـة سـاعة وينتصـر الحـق وتبقـى الحيـاة وهـي الحيـاة

وقصـارى الكـلام تقتسـم الصـنفين منهـا الـنيران والجنـات

كـل جـنس بجنسـه يلحـق التـالي بمـن سـابقوا الطريـق وفـاتوا

فعلـى حصـة النعـيم سـلام الله يـترى والعفـو والرحمـات

وعلـى حصـة الجحـيم عـذاب الله يهـوي والخـزي واللعنـات

ومـن الله نسـتمد المعونـات لتصـفو الأيـام والأوقـات

وعلى الكامل الأديب علي المعروف تسـخوا بوقفـة عرفـات

فـنلبي لبيـك يـا ملـك الشـعر ومـن عنـده لـه ملكـات

شاعر ملء برده يسجد النظم		لديه والسحر والكلمات
أيها المفرد المنادى على البعد		أعنّي إن لم تعنّي اللغات
هي هذي السمراء بنت يراعي		دب فيها الحياء وهي فتاة
أنا دبجتها وأنت انتقدها		ولك المحو ثم والإثبات
نحن إخوان حرفة وقوافينا		على بون بعدها أخوات
فارفع الاسم واحذف الخبر المنصوب		تسلم أفعالها الناقصات
وأجزها جزتك من عالم الشعر		وربان بحره الجازيات
ولك الشكر والثناء وطيب الذكر		عند الجميع والحسنات
وسلام على الذين اصطفى الله		من الرسل للهدى وصلاة
وعلى التابعين بالخير والإحسان		صرفاً ما هبت النسمات
وتوالت على تطاولها الأيام		عبر الزمان والسنوات

وهذه أرجوزة وجهها الشيخ عبد الهادي حيدر قدس سره إلى الشيخ كامل الخطيب قدس سره:

أهدي إلى الصنو الأجل الماجد		قصيدة من غرر القصائد
في مطلع العام الجديد الجاري		لسبعة من هجرة المختار
ثم ثمانين بعدها توفي		بعد ثلاثمائة وألف
خريدة فريدة معظمة		جليلة بكل معنى الكلمة

منظومة كاللؤلؤ النضيد   عابقة بالطيب والورود
جميلة تزهو على الرياض   بنورها وعطرها الفياض
أودعتها ما تشتهيه الأنفس   مما من الدر النفيس أنفس
ترى بها من لؤلؤ منثور   ما لا تراه في نحور الحور
قطوفها دانية للجاني   من كل فاكهة بها زوجان
مصفوفة أرجاؤها بالنمرق   من سندس خضر ومن إستبرق
في ظلها الوارف حور عين   كأنهن اللؤلؤ المكنون
يضوع من خلالها العبير   والنَّد والريحان والكافور
حلَّيتها بأحسن الحلي   وسُقتها تخطر كالهدي
إلى الأخ التقي البر الطاهر   أخي العلى والمجد والمآثر
كامل نجل يوسف الخطيب   البارع المحقق الأريب
بحر الندى سيف الهدى المسلول   علامة الفروع والأصول
دائرة العلوم والمعارف   وصاحب النوادر الطرائف
ليث النِّزال وأبي الأشبال   حامي الحمى والقائل الفعال
حر الضمير كامل الصفات   مهذب النفس شريف الذات
كامل يا أزكى جنان الطيب   في روضة ولمحة الخطيب
إليك من أخيك ما تطيب   بسمعة النفوس والقلوب

فاجابه الشيخ كامل الخطيب ﷺ بتخميسة طويلة منها:

هدية أعظم بها من هدية ميمونة مشرقة مُضيئة
كريمة النبعة هاشمية طيبة المنهل سلسلية
كمثلها فلتكن الهدية

أرجوزة عريقة المعاني متينة الألفاظ والمباني
رقيقة الأنغام والألحان محكمة بالنظم والأوزان
كأنها قلادة درية

جاء بها الجواد عبد الهادي نجم الهدى والدين والرشاد
سمح السجايا صادق المبادي صدق اللسان طاهر الفؤاد
صافي الجَنان حسن الطوية

منظومة تُتلى على الإخوان أهل التقى والدين والإيمان
والبر والمعروف والعرفان والحق والجهاد واللسان
والقلم السيَّال والرويَّة

قال الشيخ حيدر محمد حيدر رحمه الله: لما كنت مريضا ذهبت إلى الشام للتداوي، فبقيت فيها مدة طويلة، فتذكرت إخواني الذين أخلصت لهم الوداد وأصفيتهم محبتي، فأرسلت لهم هذه الأبيات:

١٩٧٤/٣/٢

(حسين) إني إلى لقياك في شغف	وسادة عرفوا بالفضل والشرف
كالكاملَين وإبراهيم يتبعه	علي من حبه خالٍ من الزيف
محضتهم من صفاء الحب أخلصه	بلا رياء ولكن حب معترف
بأنهم تبعوا في كل ما اعتقدوا	رأي الحسين بن حمدان وذاك يفي
وقد خبرتهم لما صحبتهم	فلم أجد عندهم شيئاً من الصلف
حديثهم شيق في كل مسألة	بالفقه بالعلم بالآداب بالطرف
وأنت تعلم ما لابن الخطيب بما	يسر من موقف بالظرف متصف
صافي الوداد نقي القلب طاهره	حر ولكن بلعب النرد غير وفي
يرى بنظارة فاقت بحدقتها	عيني حزام ترى الذرات في السدف
إن تلقه رابحاً تلقى أبا كرب	أو تلقه خاسراً تلقى أبا دلف
ولابن معروف رأيٌ طاب مورده	في فكره الفذ سباق إلى الهدف
لكن مواعيده أفعالها بُنيت	على المضارع أما أمرها فخفي
ما جئته عاتباً لكن أذكره	لعل تنفعه الذكرى لعل يفي

يا سادة لست أرضى عنكم بدلا … من أهل مكة أو من عالم النجف
فذكركم في ظلام البعد يؤلفني … وحبكم حافظي من موقف التلف
وقربكم أبتغيه دائماً أبداً … حتى يحين إلى مولاي منصرفي

وأجابه الشيخ كامل يوسف الخطيب رحمه الله بهذه القصيدة:

٨/آذار/١٩٧٤

كلفت بالحب حتى مضّني كلفي … وما بكيت على ربعٍ ولم أقف
لا أندب الطلل البالي أصب به … فضل الدموع ولم أنعت ولم أصف
وجه الحبيب دعيناه وصورته … معنى الغرام ومغزى الحب والشغف
لولا ولاية أهل البيت ما علقت … بالبيت نفسي ولم أحجج ولم أطف
كل البلاد إذا ما حلها حرم … ذي مكتي حيث ألقاه وذا نجفي
وحب حيدرة أقضي به نسكي … وطاعتي وموالاتي ومعتكفي
يا صاحب العمة البيضاء نضرها … حب الوصي فنالت ذروة الشرف
وشع من تحتها نور الولاية كالمصباح … يجلو سناه حالك السدف
ملكت مني فؤادي غير مكترث … بما يلاقيه من همّ ومن أسف
وسمته الخسف والهجران تصرفه … عن حبه وهو اسم غير منصرف
تركته وعنان الشوق يجذبه … ومسكة الصبر تنهاه عن السرف
لا أبعد الله عن عيني مشرفة … كالصبح وضاءة محبوكة الطرف

مـن تحتهـا علـم علامـة نهـم ... كـالطود مشتمل في بـرده النصـف
يمشي الهوينى كما يمشي أبـو كـرب ... ولـيس يـأتي بشـيء عـن أبـي دلـف
وللشـجاعة في أوصـاله صـلة ... موصـولة فهـو لم يجـبن ولم يخـف
كأنـه الليـث في عرنينـه شمـم ... وفي شمائلـه عطـر مـن الأنـف
وفي محبتـه في الله صـادقةٌ ... نـور الولايـة والإيمـان غـير خفـي
أصـفيته الحـب لا خوفـاً ولا طمعـاً ... لكنـه الحـب موروثـاً عـن السـلف
أبـا محمـد زارتنـا نميقـتكم ... زيـارة الطـل أرض الروضـة الأنـف
وكـان مـا كـان مـن قـول ومـن عمـل ... ومن سـرور ومـن ذكـرى ومـن طـرف
إذ قـال قائلنـا جـاءت يراعتـه ... قـد أيقنـت يـا رعاهـا الله بـالخلف
وقـال آخـر لا شـلت أناملـه ... كم سطرت حول معنـى الـلام والألـف
وقائـل كـم تلاقينـا وجـد بنـا ... وجـد الهـوى كتفـاً نمشـي إلى كتـف
وأنـت تعلـم مـا تبديـه مـن مـرح ... إخوانك الصـيد يومـاً داخـل السجف
فاقبل وسـامح وعـذراً إن ظفـرت بهـم ... وغـص على الدر تلـق الـدر في الصـدف
هـذا الحسـين أخـوك الفـذ رنحـه ... صـوت الهـوى وشجاه غـير مغـترف
والكامـل الصـالح المعـروف يعرفـه ... يـوم الحفـاظ بفضـل كـل معـترف
والطيـب القلـب إبـراهيم تعرفـه ... يغلـي النضـار ويعليـه عـن الخـزف
نقـاوةً، وعلـي صـادق ورع ... بسـيره مسـتقيم غـير منحـرف
يهـدونك الحـب والشـوق الملـح علـى ... مـتن السـلام مـع الأطيـاب والتحـف
صـلى الإلـه علـيكم والسـلام علـى ... محـبكم مـا شـدا طـير علـى شـرف

وقــدس الله أرواح الثقـــات غـــدا مــع الملائــك في الجنــات والغــرف
وابـن الخطيـب يـرى في حـبكم أمـلاً يـوم الحسـاب ومنجـاة مـن التلـف
وآل طـــه مـــلاذي يـــوم مـــنقلبي ويــوم أحشــر مــن ظــل إلى كنــف
ويـــوم تنشـــر أعمـــالي وأقرؤهـــا ولايـــة الأنـــزع الكـــرار في صـــحفي
هنالــك الأمــل المنشــود يجمعنــا ونلتقـــي بأمانينـــا علـــى هـــدف
وينتهـــي كــل صــب مــن مواجعــه ويشــتفي مــن جــواه كــل ذي دنــف
مـع الثقـات الكـرام الغـر واطربـي إلى لقـــاهم وواشـــوقي ووالهفـــي
بـــني علـــي موالينـــا وفاطمـــة أنـوار ذي الأرض والمرفوعـة السـقف
صـلى الإلــه علـيهم واصـطفى لهــم مــن المحـبين والأخيــار كــل صـفي

قال الشيخ كامل الخطيب رحمه الله مخاطباً الشيخ كامل صالح معروف رحمه الله:

يـا أخـي كامـل المعـارف والمعـروف يـــا روح يـــا حبيـــب القلـــوب
هـات مـن شـعرك المطـرب محبـوك القـــوافي للفـــن والتطريـــب
أنـــا في حاجـــة أمـــسّ وفقـــرٍ لقِـرى لفظـك البـديع العجيـب
فتفضـــل وروِّ منـــه فـــؤادي واهـدِ نفســي لغايـة المطلـوب
وارو ذكري على يراعك بعض الشيء أخلـص مـن محـنتي وكروبـي

لا تـدعني أمـرّ في غفلـة التـاريخ   بـين الإخـوان عـبر الحقـوب

فـإذا مـا ذكـرت في لفظـك الميمـون   مـن شـعرك العجيـب الغريـب

كـان لـي ثـمَّ ألـف لـي الشـرف   الجم وحسبي عناية التقريب

يـا مـوالي علـي أعلـم أنـي   بمـوالاتكم تحـطُّ ذنـوبي

ورضـاكم متوجـاً برضـاه   هـو حسبي إذا لقيت حسيبي

لا يبـالي القطيـع إن نـدّت الشـاة   طـويلاً وأمعنـت بـالهروب

في حنان الراعي وفي رحمة الصاحب   مغنـى لكـل حـرٍ أديـب

والغريـب الغريـب لا يـألف القـرب   وإن طـال مكثـه في القريـب

عـدٍّ عنـه وخلّـه وهـواه   بانتظـار التنكيـل والتعـذيب

وأجزنـي بمـا سـألت فـإني   مـن حميـاك بانتظـار نصيبي

لا تـدعني أظـل في غمـرة الأشـواق   رهـن التصـعيد والتصـويب

وإذا مـا رددتـني في سـؤالي   أنـا أشـكوك للحكـيم الطبيـب

غـرس علامـة الزمـان أبـي الشـعب   إذا كـان مـن أبٍ للشـعوب

والمحـبين مثـل حضـرة إبـراهيم   سـعودنا اللبيـب الأريـب

وأخينـا حسـين أحمـد سـعود   أليـف الصـبا رفيـق الـدروب

ولعبـد الهـادي متـى حضـر الحفلـة   في منتـدى الرفـاق الرحيـب

جـامع المـؤمنين بيـت أبـي هاشـم   مـن غالـبٍ ومـن مغلـوب

ولعثمـان حـين يـدعو بـني صوحان   ريحانـة الهـدى والطيـوب

ولبـاقي الرفـاق أهـل الأمانـات   وأهـل التفصـيل والتبويـب

يــا قضــاتي وكالأنامــل في الكــف | تكون الإخـوان عنـد الخطـوب
ســـاعدوني ولا تـــدينوا غُريمـــي | أنــا أفديــه مــن غــريم حبيــب
روِّضـــوه علــــى معاونـــة الصـــب | المعنَّـى المضنى الفقير الكئيـب
كامـــل صـــبكم أســـير هـــواكم | ورضــاكم في الله نجـل الخطيـب
ولكـــم مـــني الثنـــاء المنـــدى | جانبــاه بــريح مســكٍ وطيــب
وســـــلامٌ علـــــيكم وعليـــــه | وعلــى كــل مســتجيبٍ منيــب
مــا بــدت غــرَّة الصــباح ولاحــت | عــين شمــس وآذنــت بغــروب

ووجــه هــذه الأبيــات لأخيــه الحمــيم الشــيخ حســين سعود رحمه الله :

ســلاماً أبــا عبــد الكــريم ســلاما | رعــى الله عهــداً صــنتَه ونمامــا
صــحِبتك كهــلاً في الحيــاة ويافعــاً | وفيــاً وطفــلاً ناشــئاً وغلامــا
صَــفيين لا ضــرع المحبــة بيننــا | بكــيء ولا جفــن المحبــة نامــا
تعهَّــدنا عبــد اللطيــف بعطفــه | فثقَّــفَ منــا أنفســاً وكلامــا
ونضَّــر عودينــا حنانــاً وإلفــةً | وهــذَّبَ رُوحينــا هــوىً وغرامــا
صــغيرين نســتوحي البداهــة تــارةً | ونصــنع طــوراً أقوســاً وســهاما
ونـــبني بيوتـــاً في الفـــلاة صـــغيرةً | ونـــزعم فيهـــا مســـكناً ومقامـــا
ونســتعرض الماضــي بمــا هــو مثلــه | مــن العمــر الآتــي هــوىً وهيامــا

عفـا الله عنـه كـم تفقـد دربنـا … وشـاء لنـا نسـمو وأن نتسـامى
سقى روحَه الرحمن روحـاً ورحمـةً … وروَّى ثـراه تربـةً وعظامـا
عفـا الله عـن روح الخطيـب وأحمـدٍ … ونـالا لديـه بغيـةً ومرامـا
همـا وصـلا حبـل المـودة بيننـا … وباتـا لـديها سُـجداً وقيامـا
ومـن ثمـر الغـرس الـذي عنيـا بـه … طَعِمنـا وطِبنـا مشـرباً وطعامـا
جـزى الله عنـا كـل خـير عُلاهمـا … ونضَّـر منهـا أوجهـاً ولثامـا
وأبقـاك ذخـراً يـا حسـين وعمـدةً … وركنـاً لنـا مـن بعـدهم وحسـاما
نـداوي بـك الـداء الـدوي ونلتقـي … بك الجحفل الجرار حيث ترامى
ونرمي بك النكـراء والبدعـة الـتي … طغى ظلها حتـى اسـتحال ظلاما

قال في الشاعر الكبير بدوي الجبل:

مسـتهلاً كـالفجر في جيئاتـه … يتخطـى الأوهـام في خطواتـه
شـاعرٌ كالنسـيم في هـدأة الليـل … ينـاجي الـودود في خطراتـه
بـدوي سـخا بـه الجبـل السـمح … وكانـت آبـاؤه مـن هباتـه
وأبـوه العظـيم علامـة العصـر … سـليمان كـان مـن معجزاتـه
والأمـير المـير موسـوعة الفصحى … تصـدت للجمـع مـن مفرداتـه
سـلفٌ كـالنجوم تطلُـع للرشـد … وتـأتي الزمـان في معضـلاته
كلمـا غـاب كوكـبٌ طلـع الثـاني … يـنير الظـلام في سـبحاته

عصـــبة صـــاغها المكـــوّن للكـــون تصـــبّ الأنـــوار في ظلماتـــه

وتـــرشُّ الطريـــق نـــوراً ورُشـــداً في تعاريجـــه ومنحنياتـــه

زادهـــا الله رفعـــةً وكمـــالاً وجمـــالاً بفضـــل صـــبغة ذاتـــه



الشيخ يوسف علي الخطيب



الامام الشيخ محمد عبد الرحمن الفندي



الشيخ احمد سعود حلبكو



الشيخ حامد سلامة - ربعو



الشيخ يوسف علي خليل



الشيخ محمد رمضان - كرم مغيزل




الشيخ عبد الكريم محمد المصيطبة


الشيخ صالح ناصر
الزوبية




الشيخ معلا ربيع - البيرة



الشيخ صالح العلي





الشيخ يونس حمدان الطواحين



الشيخ حيدر محمد بيت ياشوط



الشيخ ابراهيم سعود حلبكو



الشيخ محمود سليمان الخطيب جبول


الشيخ حســين سعود - حلبكو


الشيخ يونس ياسين سلامة ربعو


الشيخ علي عبد الله [illegible]


الأستاذ الشيخ محمد حسن شعبان الجبولية


الشيخ أحمد اسماعيل - الرقمة


الشيخ حسين ميهوب - حرفوش



الفصل الخامس

الشيخ كامل يوسف الخطيب

في ميزان معاصريه

انتقل الشيخ كامل الخطيب إلى جوار ربه في سنة /١٩٩٢/، فخسرت الأمة عالماً من علمائها الأبرار الذين قال فيهم رسول اللهﷺ :

« موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم »[١].

وقال الإمام الصادق/ع/ لما سئل عن قول اللهﷻ: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا)[٢]: فقد العلماء [٣].

لقد شكلت غيبته عنا فراغاً كبيراً في الوسط العلمي والأدبي، وأدرك الناس حجم الخسارة التي أصابتهم، فتفجرت المشاعر للتعبير عن حزنهم العميق لفقد إمامهم الكبير، فكانت تلك القصائد التي حفظها ورددها الكثيرون.

ومن هذه القصائد :

---

(١) ميزان الحكمة – محمدي الريشهري.

(٢) (الرعد : ٤١)

(٣) ميزان الحكمة – محمدي الريشهري.

قصيدة الشاعر الكبير الدكتور الشيخ محمد عباس علي دام ظله /المران/:

إلى روح المغفور له: الشيخ كامل الخطيب /جيبول/:

كحِّل جفونكَ.. هذه جيبولُ سرُّ الجمال بسرها مجبول
واشرِف على مطلول آفاق الرؤى ما كل مُرتَبعٍ لنا مطلول
وامشِ الهوينا في دروب شعابها يحضنك منها باسقٌ وظليل
في كل رابيةٍ تأنَّق مربعٌ وبكل نجوة رنوة ومَقيل
ونسائم الإصباح من ربواتها للصائفين تحيةٌ وشمول
لا تعجبن إذا شُغلت بحسنها الحسن فيها ساحرٌ وشغول
أنى اتجهت جداولٌ وخميلةٌ أزهى الدروب جداولٌ وخميل
فاطرب لسقسقة المياه ترتلاً ليهدهد الإغفاءة الترتيل
واهتف ألا حُييت يا دار الهدى دارَ الخطيب وبورك النُزول
يا دار يوسف.. والنداء لمعلمٍ منه استقى نهج العقيدة جيل
وأقول يوسف.. دونما لقبٍ وهل بعد الضياء على الشموس دليل
لقد استطال العلم في أفكاره وسرى بفيض علومه التنزيل
فغدا منارة عصره متفرداً إن كان يُسأل وحده المسؤول
يا يوسفاً والحسن بعض صفاته إن أنتَ إلا للعلوم رسول
الله أكبر كم جلوتَ معارفاً وتفتحت مما جلوتَ عقول

أسفار علمك ليس يخبو ضوءها فيها تبدى للنهى التأويل
ولشاهدٌ مما أفضتَ شروحه نارُ الكليم.. وما رأى شمويل
ولئن أطيل بساح ذكرك وقفتي فلغاية مما وقفتُ أطيل
أشدو.. وأطرب للصدى مترنحاً سيان لو غارت صُوىً وطلول
فأنا سليلك في الهوى مسترشداً حسبي – وحقك – أن يقال سليل
أستاذي الشيخ الأجل محمد قبسَ الشعاع فحفّه التبجيل
وشعاع هذا النور من علامة العصر الأخير.. ونعم ذا التأصيل
لم أنوِ تفصيل الغرام وإن يكن يحلو لأرباب الهوى التفصيل

* * *

هذي المرابع تاه في أجفانها ليلٌ مندًّى عابقٌ وبليل
واستأثرت بهوى المرابع أنجمٌ الفجر في لبّاتها مجدول
وأنا المشوق لزهوها وزهورها ولدى بياني سكرةٌ وحقول
ووددتُ لو أن اللقاء مسرَّة لَمشى إليَّ الشاعر الضلِّيل
ورنت تماضر تستعيد مقاطعاً وكثيرٌ.. وفتى الغرام جميل
لكنه فقْدٌ تمثّل وقعه جبلاً تقصفَ عرضه والطول
فالشيخ كامل قمة من هذه القمم العلية.. منبتٌ وأصول
وهو الرضي بطبعه وخصاله أُفضي إليه من العلى التكميل
ملك البداهة واستوى متربعاً تُنمى إليه روائعٌ وفصول

وتخيرتـــه العبقريـــة مســـرحا   لنبوغهـــا واختصّـــه التنويـــل

• • •

يا شيخ كامل ما وردت على قذى   نبـعُ الحقيقـة وردك المعسـول
واليـتَ أهـل البيـت ملتزمـاً بهم   قـولاً وهـم للجنـتين سـبيلُ
فابشر حُييت ترضى الأئمة فائزاً   يلقـاك مـنهم شـافعٌ ومُنيـل
يتسـاقط الـدخلاء دون حياضـهم   لا يرتقي سـبل العـلاء دخيـل

• • •

لوّنـتَ عصـركَ بالجمـال فشـاعرٌ   في جانحيـك وعـالمٌ وجليـل
وأبـو نـواس وعشـرة مـن مثلـه   في بردتيك.. وكـم هـو المثـول
أبقيـتَ ديـوانين.. يوسـف واحـدٌ   وبيانـك الثـاني.. وثمـة قـول
ديوانـك الأحلـى: فكاهتـك الـتي   شعّت ذكـاءً.. لم يحُـزه عـديل
ما مـات مـن صـاغ الحيـاة مواسمـاً   معطـاءةً.. وعطاؤهـا مبـذول

• • •

جيبـول.. هلّـا للخطيـب محمـد   في مسـمعيكَ قصـيدةٌ وهـديل
فلكَـم طربنـا مـن بـدائع شـعره   ورؤاك فيـه توحُّـد وحلـول
أسفٌ على ذاك الشـباب فلم يكن   كشـبابه بـين الرجـال مثيـل

حكمت عليه – ولا مردّ – عجالة ... إن القضاء إذا استبدّ عجول
نزلت على شيخ البيان ثقيلةً ... وطءُ المصيبة موجعٌ وثقيل
الشيخ محمود ولا كمصابه ... وهو الفقيه العالم المأمول
لكن تكلل بالرضى لقضائه ... لا كالرضى يوم القضاء إكليل
هذا هو الإيمان من كُبَّاره ... أعظم به!! إن الكبار قليل

* * *

آل الخطيب أشاوسٌ لم تلقهم ... إلا التقاكَ فطاحلٌ وفحول
يتمضغون صعائب الزمن الذي ... تبلي الصخور صعابُه.. وتزيل
ويجددون غناءهم.. ليُذللوا ... عنتَ الزمان.. فينتشي التذليل
وهج الطرافة فاعلٌ بحديثهم ... إما استثير توقد المفعول
عشقوا الحياة على طريقة عاشقٍ ... حملَ الحبيبَ فعزُّه المحمول

* * *

جُبلوا على عز المعز لدينه ... نعم المعز.. ونعمها جيبول

ومن قصيدة الشيخ خليل منصور خليل ﷺ /العقيبة/:

من الجبل القدسي ضاءَ شهابكم

لمن تبسُّم الدنيا وتحلو البشائر؟ لمن تُحمَد العقبى وتهنا السرائر؟
لمن يشتهي دوح الجنان ظلاله؟ لمن تزدهي تلك الرياض النواضر
أجلُّ رجال العلم من سار منهم على المنهج الأسمى وللحق ناصر
أُجل رجال الدين عن كل غاية سوى غاية فيها تطيب الشعائر
كمثل فقيد الدين والعلم كامل كريم المبادي مَن بكته المحاجر
فيا كامل الأفعال جئتك راثياً جريح فؤاد برَّحته البوادر
لقد جمعتنا صفوة الحب والهوى ونهج قويم تبتغيه الخواطر
شربنا من الحب الإلهي فارتوت جوانحنا عذباً به القلب ناضر
لقد كنتَ فينا كامل المجد طاهراً نَمتك أصول طيبات جواهر
هنا في ذرا جيبول عشت على التقى ومن كفك اليمنى تحلت دفاتر
لقد كنتَ فينا عالماً وابن عالم وتشهد عن كنْز العلوم المخابر
من الجبل القدسي ضاء شهابكم وفي الجبل القدسي أنتم منائر
هي الأسرة الغراء طابت أرومةً أكابر يمناها تلتها أكابر
لكم وقفة جلّى تسامت مكانةً فمنكم خطيبٌ في البيان وشاعر
ستبقون فينا كالنجوم هدايةً إذا غاب منكم نائر لاح نائر
أبا يوسف يا كامل المجد والثنا ويا مَن لدى ذكراه تندى العباهر

وإذا ما ارتقيتَ الخلد في واحة العلى وطفتَ رحابا تحتويه الأطاهر
فبلغ تحياتي أولي العلم والنهى رجال الهدى والطهر إن عُدَّ طاهر
سلامٌ على آل الخطيب ورحمة وجاد سحابٌ بالفضائل ماطر
وأسنى تحياتي لأكرم راحل يضوع بها طيب الشذا والأزاهر
وهذا رثائي والجراح مداده وتاريخه يجزي له الله غافر

قصيدة الشيخ الأديب أحمد إبراهيم دام ظله /ريحانة متور/:

خطبُنا اليوم من أجل الخطوب بغياب الفقيه نجل الخطيب
ثقة عالم جليل توارى عن عيون الورى بسر الغيوب
أيها الموت لو تراعي شعوراً لمُحب فجعته بالحبيب
كم قرون طويتها كم شعوب وحضاراتهم هوت للمغيب
كنت في سالف الزمان كما أنت فتياً لم تبتل بالمشيب
أنت اسمٌ فهل تراءيت شخصاً من بعيد لناظرٍ أو قريب
هل كما قيل إنك الحق أم أنت ملاكٌ أم حاسبٌ للذنوب
أنت في الناس حيرة أنت معنى كل قلب شغلته بالوجيب
أترى أنت هالك بهلاك الخلق أم تستمر للتعذيب
لا أظن الأولى ولكن ستبقى لافتعال الأسى وصنع الخطوب
يا إلهي رحماك والعفو أرجو إن تساءلت عن نظام عجيب
إنه الحق إنه العدل يودي بحياة الحُجاب والمحجوب

إيــه جيبــول يــا مقــر رجــال   العلـم والشـعر والنـدى والطيـب
قــد فقــدنا الشــيخ الجليــل أبــا   يوسـف نجـل العلامـة الموهـوب
كاملاً كامل الخصال شريف الأصل   والفـــرع والمحـــل الخصـــيب
كـــان في عصـــرنا منـــارة علـــم   ينقـذ النـاس مـن متاه الـدروب
كـل علـم قـد كـان فيـه جـديراً   آخـــذاً مـــن لبابـــه بنصـــيب
وأجـــل العلـــوم معرفـــة الله   وعلـــم الأشـــخاص والترتيـــب
ورث العلـم والمعـارف عـن آبـاء   صـــدق مطهـــرين القلـــوب
كـــل آل الخطيـــب أعـــلام هـــدي   ومـــآلٌ لنـــا بيـــوم عصـــيب
وأقاموا الشرع الشريف احتساباً   لا اكتســاباً بنصــه المطلــوب
وهـــم القـــدوة الشـــريفة أصـــلاً   فنجيـــبٌ متـــوّجٌ عـــن نجيـــب
شـرّف الله قـدركم وأدام الخـير   فـــيكم للعلـــم والتصـــويب
وأعـــزيكم ونفســـي أعـــزي   والتحايـــا لكـــل آل الخطيـــب

قصـيدة الشـاعر الشـيخ محمـد علـي إبـراهيم أحمـد رحمه الله

/بحنين/ :

مـــع الله يـــا كامـــل الخطيـــب   إلى مربـــع في العلـــى خصـــيب
إلى جنـــة الخلـــد حيـــث الحيـــاة   بغـــير عنـــاء وغـــير لغـــوب
أقمـــــت في ذروة المعـــــالي   وذكـــركم شـــعٌ في القلـــوب

يـــا عالمــــا عـــــاملا كريمــــا حييــــت مـــن عـــالم أديـــب

قــد كنــتَ بـين الـورى شـجاعاً لم تخــش مــن موقــف رهيــب

تحـــارب الظـــالم المعــادي وبدعــــة المظلـــم الكـــذوب

نشـــرتَ علمـــاً وفُقـــتَ فهمـــاً وســرت في مــنهج الخصـيبي

صـــدقتَ قـــولاً وطبــتَ فعـــلاً علـــى ثبـــات وفي وجـــوب

مُلئـــت حزمـــاً ألِفـــتَ عزمـــاً وســعتَ حلمـاً بصــدر رحيــب

عملـــتَ خـــيراً نعمـــتَ عيشـــاً وحـــزت خلقـــاً بــلا عيــوب

علـــــى ولاء وفي يقـــــين وفي هنـــــاء بـــــلا كـــــروب

في مجلـــس مفعـــم ســـروراً بـــلا اكتئـــاب ولا كئيـــب

كـــم نكتـــة قـــد أتيـــت فيهـــا تُعجـــل الحـــزن بـــالهروب

تبعـــت للعـــالم الجليـــل ســـيدك الفاضـــل اللبيـــب

عبـــد اللطيـــف ومـــن كعبـــدٍ مجاهـــد صـــادق مجيـــب

مـــن آل ســـعّود طـــاب أصـــلاً أكـــرم بشـــيخ نَـــهٍ أريـــب

هُنئـــت مـــن تـــابع أمـــين سُـــعدت مـــن طالـــب نجيـــب

بكتـــك القـــوافي بكتـــك المعـــاني لشـــرح مفيـــد لـــرأي مصـــيب

لـــذكر حميـــد لعقـــلٍ رشـــيد لقلـــب ذكـــي لطبـــعٍ وهـــوب

ليـــوم فراقـــك يـــومٌ يُعـــد علـــى المـــؤمنين بيـــوم عصـــيب

هـــو المـــوت أهـــلاً بـــه كلمـــا يجـــيء ولـــيس بشـــيء عجيـــب

أيـــا أســـرة الراحـــل الألمعـــي بصـــبر غلبـــتم جيـــوش الخطـــوب

بيوســـف والـــده أشـــرقت شمــوس البيــان بــدنيا الغــروب

لعلامـــة الشـــعب كـــان الســـنا سليمان نفس الحسيب النسيب

ويـــا فتيـــة الشـــرف المنتقـــى بغـير انحـراف ولا مـن نكـوب

لقـــد كنـــتم الصـــيد في الأولـــين وسُـدتم بهـذا الزمـان القشيب

فصـــبراً جمـــيلاً وحمـــداً علـــى قضـاء الإلـه ومحـو الـذنوب

ولا زال كامـــــل في ذكـــــره بفـاه البرايـا كمسـك وطيـب

إذا فقـــد العلـــم لا يلتقـــي علـى الـدهر إلا بـآل الخطيـب

إلى الفـــاطميين أنســـابهم تعـود وتبقـى بقـاء الحقـوب

فغيرهـــم لـــيس فيمـــا مضـــى وقـد أرخـوا بثقـات الشـعوب

قصيدة الأستاذ خليل علي صالح (رحمه الله):

نواعي الأسى شتى وأبرحها عندي فِراق حبيب لا يجور عن القصد

جـريء إذا الجلـى أماطـت لثامهـا جلاها بروح منه والسيف بالغمد

قريـــب إلى كـــل القلـــوب تخالـــه ملاكاً طهوراً زُفَّ من جنة الخلد

فقيـــه إذا مـــا نكتـــة دقَّ ســـرها وآلـت إليـه كـان أورى مـن الزنـد

حسـيب نسـيب عبقـري متـوج إذا مـا تجلـى هلـل المجـد للمجـد

تسلسـل مـن آل الخطيـب كمالـه فجـاء كمـا يختـار واسـطة العقـد

حبـاني وحيـاني بمـا هـو أهلـه فنضر عودي مبدعاً ورعى عهدي

وهللت الفصحى لسحر بيانه الموشّى ... بـأفواف الطرائـف والـبرد
فيا لأبٍ بـر رحـيم أتـاح لـي ... لقـاءً مـع التـاريخ يعبـق بالنـد
بروحـي وعمـري مـن إذا مـا ذكرتـه ... ذكـرتُ زمانـاً فيـه يزخـر بـالود
فيـا حبـذا تلـك الأويقـات والصـبا ... كبرد الصـبا مـا زال في عمـر الـورد
كلانـا وللنجـوى علـى نغـم الهـوى ... حرارتهـا يشـكو مضـاعفة الوجـد
رويـدك بالعـاني الأسـير فإنـه ... كعهـدك فيـه، لا يعيـد ولا يبـدي
نـذرت إلى الخطيـب مـواهبي ... ورتلـت في محـراب حـبهم وردي
وآنسـت في واديهـم غـير نـاكص ... بريق نجاتي منذ أن ثاب لي رشـدي
وطهرت أنفاسي بنعماء سيد العصور ... وحاديهـا إلى الـيمن والرغـد
"سـليمان" يـا عطـر البشـائر والمنـى ... ويا حلم الأجيـال يـا كعبـة القصد
تخـذتك في الـدنيا إمامـاً ومـوئلاً ... وحرزاً ومنجاة لدى القـائم المهـدي
وباركـت تطـوافي بجرعـاء "يوسـف" ... فللـه مـن جـدٍ، ولله مـن جَـد

* * *

أبـا يوسـف والسـنديانة بـرّة ... برواده‍ا، والصيف يرفـل بـالبُرد
وها قد أتـى الضـيفان مـن كـل جهـة ... وحدبٍ، فمن وفـد كـريم إلى وفـد
وها أنت يا نبع الحنان ومعقد الأماني ... تنـاجيهم علـى نغـم الـورد
وتبسـم عـن مثـل الجمـان محببـاً ... كريم المحيا مشرق الوجـه والقـد
وتبقـى وإن طـال المـدى بـك أو بنـا ... عزاءً لأهل الفضل في القرب والبعد

رحلت وللآهات لحن يثيره المحبون ... تقـديرا لمـا لـك مـن جهـد
فبـالله هـل مـن بيعـة مـا عقـدتها ... مع "الحيدريين" النجيبين أو وعد
وها أنت تختار اللحاق وتـؤثر المضـي ... إلى لقياهمـا صـادق العهـد
ومـا "لحسـين" الفضـل بعـدكم سـوى ... الحـنين، فيـا لله للصـابر الجلـد
خلاصـة بيـت عظّـم الله قـدره ... "لسعُود" فيـه مـا لفاتحـة الحمـد
وعهـدي بـه، وهـو المليـك المتـوج ... الفريد المحلى بالفضيلة والزهـد
سيأسـو جـراح الحـب في ملكاتـه ... الغنية بالتحنان والعطف والـرؤد
فـديتكما مـن سـيدين توخيـا ... معاً، ما تبنَّتـه العقيـدة مـن عقـد

* * *

ويـا قمـة أضـفى الجـلال ظلالـه ... عليهـا، فعـزت بالأصـالة والمجـد
ليهنيـك أنَّـا مـا نـزال أعـزَّةً ... على خير ما يرضيك من أهبة الجند
بهاليـل جـوَّابين في كـل مهمـه ... علـى ضُـمّر قـود صـوافنة جـرد
نتـوق إلى الهيجـاء ومـا ذرَّ قرنهـا ... إلينا أخـو جهـل وأرجـف ذو حقـد
ونمضي إلى كسـب المعـالي وسـاحة ... النضال، وإن نام الخليون، كالأسد

* * *

يقولون لي خلّ البكاء وحاذر الرثـاء ... فمـا هـذا، ولا ذاك بالمجـدي
ومـا علمـوا أنـي شـربت لبانـه ... ولـمـا أذق طعـم الهنـاءة في مهـدي

وها هو جدي لا يصخ لناصح وقد ذاب وجدا من مكابدة الوجد

وعهداً سأبكي الخافقين وقد مضى أحبة قلبي، واقتضاني الأسى وحدي

وأوجع ما يدمي الفؤاد فواجع ثلاثٌ خلال العام تُنذر بالحد

فصبراً بني أمي وصبراً بني أبي فما لكلينا من عزاء سوى الحمد

فقدنا به فيما فقدنا مواهباً شُعيبية الإلهام جلية القصد

عليه سلام الله طفلاً ويافعاً وشيخاً كريم المنتمى صادق الود

تاريخ وفاة الشيخ كامل الخطيب لفضيلة الشيخ حسين سعود قدس سره:

مقام شيخ عاش تسعينه مثل اسمه في فضله كاملا

خطيب قوم لم يدع علمهم آجل فقه لم يعد عاجلا

علامةً كان بآدابه لراية السبق بنا حاملا

جاهد في الله فأحيا الهدى كما أمات المُفتَرى الباطلا

في نثره والنظم إبداعه كم نبه الحائر والغافلا

أعطاه في فردوسه ربه نائله أعظم به نائلا

في جده العالي وفي هزله قد كان بحراً يغرق الساحلا

بالجد إن حدّث جاز المدى والهزل أرخ أضحك الثاكلا

كلمة الدكتور أمين خضر أبو عبيد/طرطوس/:

وأنت اليوم أعظم منك حياً

أيها السادة.

نحن في ذكرى من أعطر الذكريات، ألا وهي مرور أربعين يوماً على فقداننا ذلك العلم الجليل، والقطب الفضيل، العالم الفقيه الشيخ كامل الخطيب، طيبَ الله ثراه، وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه، نستنشق فيها عبيره لترد إلى النفوس إيمانها، وليس كذكرى العلماء حافزاً للهمم ووسيلةً من وسائل القرب من الله، ونيل مرضاته، لأنه حبٌ للمثل العليا مجسمة في شخص أمثال هذا الشيخ الكبير الذي قام بواجبه خير قيام، ولا شك أن تكريم الشخص يتولد من سيرته ومعرفة أحواله، وتلك المعرفة تتوقف على دراسة حياته، فحبذا لو عرف كل فرد منا حياة الصالحين، وطالع سيرتهم، وأسباب المجد والعزة والكرامة التي خصهم الله بها، وهذا سر الفلاح والنجاح لمن يريد الصلاح والإصلاح.

أيها الإخوة الاكارم.

لقد أجمع الناس على احترام وتقدير الراحل الكريم لما وهبه الله من صفات كريمة وخصال حميدة قلّ أن يتصف بها إلا الكُمل من الرجال وقليل ما هم، فقد كان ﷺ مثلاً أعلى في المحافظة على القيم الأخلاقية والنصوص الدينية والعلاقات الأدبية، والحنان الأبوي والحب الأخوي، يغمر الناس بحبه ويخصهم باحترامه ويمحضهم النصيحة، ويوجههم إلى كل ما يقربهم إلى الله زلفى، وينهاهم عن كل منكر ما ظهر منه وما بطن، مقتدياً في ذلك بسُنة النبي الكريم محمد ﷺ ونهج أهل البيت المطهّرين، متأدباً بآدابهم، ومتمسكاً بحجزتهم، ومذعناً لطاعتهم، ومجيباً لدعوتهم، وارداً حوضهم، ناهلاً من فيوض غدرانهم، ومقتدياً ببينات قرآنهم الذي لا يأتيه الباطل، مُحللاً لما حَلل، ومُحرماً لما حرّم.

سيدي الراحل الكريم.

إن ذكراك توحي لنا الإلهام للإسهاب في تقصي الكلمات التي تعبر أصدق تعبير عن مزاياك الطيبة لِنصِفَ بعض ما وهبك الله من كريم الصفات، وما اختصك به من صفاء الجوهر وشرف المحتد، وما تحلّت به شخصيتك في حياتك الدنيا، وهذا الذكر الحميد بعد موتك هو خير شاهد على ما نقول، فالعرف الطيب

يدلّ على منبته، وسيرة المرء تنبئ عن سريرته، فسبحان من سربلك بجلباب التقى حتى استحققت كل مأثرة ومكرمة. ولعمري إنك من نبعة الفضل والعلم والشرف، وها هي ذكراك تعبق شذاً يعطر الكون بأريجه الذكي، وأنت ميت أعظم منك حياً.

أيها الأخوة الأفاضل.

قال تعالى وهو أصدق القائلين: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)، فمن الناس من يجتاز هذه الحياة وقد ثقلت موازينه بالعمل الصالح فيكرَّم، ومنهم من خفَّت موازينه فيُذم أو يُهمل ويُطوى ذكره بموته، لكن العمل الصالح الذي ينفع الناس هو الذي يخلد لصاحبه ذكراً طيباً مقروناً بالرحمة والثناء، وهو الذي يمكث في الأرض، ويُردَّد صداه بأطيب المآثر والمزايا.

وفقيدنا الراحل الكريم كان بصورته الحقيقية، إسلاماً صحيحاً، وإيماناً قوياً، وخلقاً كريماً، وعملاً صالحاً، وتقوى وخشوعاً وتواضعاً، ولعمري إن من اتصف بهذه الصفات الطيبة قلَّ أن يجود بهم الزمان، وإنهم من النفع بمكانٍ عظيم.

أيها الأخوة.

إن فقيدنا الكريم لم يقنط من رحمة الله، بل كان شديد الاعتماد على الله، عاملاً بما يرضي الله، فثابر منذ ريعان صباه على جهاد النفس والعمل الصالح بجد ونشاط، وهمة لا تعرف الملل، حتى بعد أن انحرفت صحته لم يكن يترك ذكر ربه لحظه واحدة، يحيي الليل متهجداً مستبصراً بنور العلم والمعرفة والهداية، مدركاً من هذا النهج القويم أن الدين هو الطريق إلى الله، واثقاً بأن الدين هو محبة وأخوّة وتسامح وتهذيب وسلام وعمل لخير الناس وسعادتهم.

وأخيراً انحني بإجلال وإكبار أمام فضلك ونبلك، وتقاك وطهرك، وحسبي أني قلت ما أملاه ضميري وولائي لك، فسلام لك حياً وميتاً، وسلامٌ عليك يوم تُبعث حيا، ونرجو أن يكون لنا في بنيك خير العوض، وأن يكونوا خير خلف لخير سلف، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وفي الختام أقول:

لقد كان العالم الشيخ كامل الخطيب رحمه الله مثلاً أعلى في كل أدوار حياته، لقد كان رحمه الله موئلاً وملاذاً وإماماً عظيماً، لقد مزق حجب الظلام وكشف الأقنعة عن الذين حاولوا تضليل الناس، قضى حياته عفيفاً نزيهاً، لقد شكلت غيبته عنا فراغاً كبيراً في حياتنا، ومع ذلك سيبقى فكره حياً عبر علمه الغزير، وسيبقى شعاع علمه ينير لنا الدروب ويحمينا من الضياع والعثار، إن المرء يقدره التاريخ بقدر ما يصنع ويترك من آثار، والعالم الشيخ كامل الخطيب رحمه الله ترك لنا زاداً فكرياً كبيراً.

وأخيراً؛ آمل أن أكون قد قدمت ما ينفع القارئ الذي أحترمه، وأعتذر عن التقصير، فالكمال لله وحده، وصنعة الإنسان تظل ناقصة.

المؤلف في سطور

محمود عبد الرحمن آل عباس سلمان/بيصين/.

ولد في قرية المشرفة/مصياف ١٩٤٦م

- إجازة في التاريخ من جامعة بيروت العربية ١٩٧٠م

- مدرس في ثانويات حمص ١٩٧٤ ـ ٢٠٠٦ م

ـ له دراسات تاريخية وسياسية منشورة في جريدة تشرين والعروبة وجريدة الإتحاد الصادرة في الإمارات العربية المتحدة وجريدة الأخبار العربية الصادرة في لندن وفي مجلة الأجيال والمجلة العربية السعودية ومجلة جيش الشعب.

من مؤلفاته :

سلسلة « من مدرسة أهل البيت ﷺ » صدر منها :

١. علامة الأجيال الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله.
٢. علامة الجيل الشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهج رحمه الله.
٣. إمام المجاهدين وشيخ الثوار الشيخ صالح العلي رحمه الله.
٤. شاب العلم .. الشيخ عبد الهادي حيدر رحمه الله.
٥. الشيخ حيدر محمد حيدر رحمه الله.

٦. الشيخ علي بن منصور الصويري رحمه الله.

٧. آل الحكيم، الشيخ ناصر الحكيم رحمه الله، الشيخ صالح الحكيم رحمه الله، الشيخ إبراهيم الحكيم رحمه الله.

٨. الشيخ أحمد إسماعيل رحمه الله /الرقمة/.

٩. العلامة الشيخ يعقوب الحسن رحمه الله.

١٠. من أقطاب المسلمين العلويين: الشيخ خليل النميلي، الشيخ سلمان بيصين، الشيخ علي سلمان المريقب، الشيخ عباس سلمان بيصين.

١١. العلامة الشيخ محمود سليمان الخطيب قدس سره.

١٢. العلامة الشيخ كامل يوسف علي الخطيب قدس سره.

١٣. العلامة الشيخ حسين سعود قدس سره.

وله مؤلفات أخرى منها :

- تاريخ القوقاز. صدر عن دار النفائس بيروت ١٩٩٩
- حرب الشيشان الثانية ٢٠٠٢
- آفة المخدرات ٢٠٠٧
- الكاريكاتير السياسي العربي وأعلامه ٢٠٠٨

فهرس

توزيع مكتبة شاشر
سوريا - طرطوس
هاتف : ٣١٩٧٨٠
٣١٩٧٨١
٣١٩٧٨٢
فاكس : ٣١٩٧٧٧
جوال : ٠٩٥٥٣١٩٧٧٧

SHASH شاشر توزيع مكتبة

7 893210 752649